نصوص من القرآن والسنة

(تفسير سورة النور – قراءة المستقبل فى أحاديث النبى الأكرم)

للدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

أستاذ علم اللغة بجامعة المنصورة

١٤٢٤هـ

٢٠٠٣م

www.geocities.com/abu_elkher

بسم الله الرحمن الرحيم

السياق التاريخى الذى نزلت فيه السورة

نزلت هذه السورة بعد غزوة الأحزاب، ومن ثم كان نزولها بعد هذه السورة التى سميت بهذا الاسم، وكان نزول النور فى النصف الأخير من السنة السادسة للهجرة، ومن المعروف ان غزوة الاحزاب كانت فى السنة الخامسة، ومن الخير أن نشير إلى السياق التاريخى الذى نزلت فيه سورة النور موضع حديثنا فنقول:

إنه بعد غزوة الاحزاب التى جمع فيه مشركو العرب كل مايمكن جمعه من الرجال والعتاد والسلاح للقضاء نهائيا على دولة المسلمين الناشئة، وعلى قائدها محمد (ﷺ) نقول بعد فشل المشركين فى القضاء على المسلمين عسكريا، إذ هزموا فى كل لقاء وموقعه، تحول أعداء الإسلام إلى الحرب الباردة أو حرب المؤامرات، فكانت هذه المؤامرات الثلاث التى شنها الأعداء وبخاصة المنافقون، وعلى رأسهم عبد الله بن أبى سلول.

وهذه المؤامرات وقعت إحداها عند زواج الرسول (ﷺ) بابنة عمته زينب، والأخريان كانتا فى غزوة بنى المصطلق، وكانت أشد هذه المؤامرات خطرا على المسلمين مؤامرة الإفك، وهاك التفصيل فى كل:

١- كان زواج الرسول (ﷺ) من زينب بنت جحش ابنة عمته استجابت لأمر الله الذى أراد أن يبطل ما ألفه العرب من معاملة المتبنى معاملة

الابن الحقيقى من الصلب، ومن ثم أراد الإسلام أن يبيح للرجل أن يتزوج مطلقة متبناه، وهذا ما حدث فعلا، فقد تزوج الرسول(ﷺ) وبأمر من الله مطلقة متبناه زيد بن حارثة.

وهنا قامت قيامة المنافقين واليهود ومعهم المشركون، فقد أشاعوا أن محمدا وقع فى غرام زوجة متبناه لما نظر إليها فجأة، ولما اطلع زيد على هذا الغرام طلقها ليتزوجها محمد فهو بهذا قد تزوج حليلة ابنه، وقد جد الأعداء فى نشر هذه الافتراءات حتى لم يسلم منها بعض المسلمين أنفسهم.

والواقع أن زينب كانت ابنة عمة الرسول وكان عهده بها منذ الطفولة، ولايمكن أن يصدق المرء ماذكره المرجفون من أنه(ﷺ) وقع فى غرامها لما نظرا إليها فجأة، ولقد حاول جاهدا أن يمسك زيد-متبناه- عليه زوجته لايطلقها، ولكن كما أمره الله أن يزوجها لزيد تطبيقا لمبدأ العدالة الاجتماعية والمساواة بين المسلمين، فكذلك أمره الله بتطليقها، ثم عليه أن يتزوجها تنفيذا لأمر ربه، وقد سجل القرآن هذا الموقف فى قوله تعالى "وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك، واتق الله، وتخفى فى نفسك ماالله مبديه، وتخشى الناس، والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها، كى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا، وكان أمر الله مفعولا، ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله له، سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا. الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه، ولايخشون أحدا إلا الله، وكفى بالله حسيبا،ما

كان محمدا أبا أحد من رجالكم، ولكن رسـول اللـه، وخـاتم النبيين وكـان الله بكل شيء عليما" ٣٧-٤٠ /الأحزاب.

٢- وفي غزوة بني المصطلق ازدحم جهجاه بن مسعود الغفارى أجير عمر ابن الخطاب وسنان الجهني حليف بني عوف بن الخـزرج علـى المـاء فـاقتتلا فصـرخ الجهنـي: يامعشر الأنصـار، وصـرخ جهجـاة: يامعشـر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنـده رهـط مـن قومـه فيهم زيد بن أرقم غـلام حـدث فقـال: أوقـد فعلوهـا؟ قـد نافرونـا-يعنـى المهاجرين- وكاثرونا في بلادنا، والله مأأجدنا وجلابيب قريش هـذه إلا كما قال الأول "سـمن كلبـك يـأكلك" أمـا واللـه لئـن رجعنـا إلـى المدينـة ليخرجن الأعز منها الأذل" ثم أقبل على من حوله من قومه من المدينـة فقـال لهـم:(هـذا مـافعلتم بأنفسـكم، أحللتموهـم بلادكـم، وقاسـمتموهم أموالكم، أما والله لوأمسكتم عنهم مابأيديكم لتحولـوا إلـى غير داركـم، وقد سمع ذلك كله زيد بن أرقم وكان حدثا صغيرا فنقل ماسمع[1] إلى الرسول (ﷺ) وعنده عمر الذى قال على الفور للرسول: مر بـه عبـاد ابن بشر فليقتله فقال: فكيف يا عمـر إذا تحـدث النـاس أن محمـدا يقتـل أصحابه لا، ولكن أذن بالرحيل.

وكان الرحيل في ساعة لم يكن رسول الله(ﷺ) يرتحل فيها، ثم مشى بالناس يومهم حتى أمسى، وليلتهـم حـت أصبـح، وصـدر يومهـم حتـى آذنتهـم الشمس، ثم نزل بالناس فناموا على الفور من فرط الإرهاق والتعب، وقد لجأ

---

(١) فعلى الكبـار ألا يستطردوا فـي الحديث، أمـام الصـغار لأنهم ينقلـون مايسـمعون، وبطريقتهم الخاصة وفهمهم.

الرسول(ﷺ) إلى ذلك لينشغل الجيش عما قاله هذا المنافق ابن سلول. وفى الطريق إلى المدينة كان هذا الحوار بين الرسول وبين أسيد بن حضير الأنصارى قال أسيد يارسول الله، والله لقد رحت فى ساعة منكرة ماكنت تروح فى مثلها؟

الرسول : أوما بلغك ماقال صاحبكم؟

اسـيد : وأى صاحب يارسول الله؟

الرسول : عبد الله بن أبى.

أسـيد : وماقال؟

الرسول : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل.

أسـيد : فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت، وهو والله الذليل وأنت العزيز، وأضاف أسيد: يارسول الله ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

٣- وماكاد المسلمون يقضون على المؤامرة السابقة حتى حاك هذا المنافق بل رأس النفاق ماسمى بحادث الإفك أو مؤامرة الإفك، تلك المؤامرة التى لولا تماسك المجتمع الاسلامى ودقة تنظيمه وإحكامه لعصفت بهم أمثال تلك المؤامرات.

ونترك السيدة عائشة تروى حكاية هذا الإفك، تقول -رضى الله عنها- كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرجت معه، فخرج سهمى عليهن -تقصد أمهات المؤمنين غيرها- ورحلت[1] مع الرسول (ﷺ).

(١) تصرفنا فى بعض التعبيرات والكلمات تيسيرا وتقريبا للمعنى.

وكانت النساء نحيفات فطعامهن قليل، وكنت إذا أعد لى بعيرى جلست فى هودجى ليأتى القوم فيأخذون برأس البعير فينطلق به.

فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من سفره وجه راجعا حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل فبات به بعض الليل، ثم أذن فى الناس فارتحلوا، وذهبت لقضاء حاجتى وفى عنقى عقد من ظفار، فلما انسل من عنقى ولا أدرى ورجعت إلى الرجل، ثم ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ بالرحيل فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته.

وجاء القوم الذين يعدون لى البعير فحملوا الهودج وهم يظنون أنى فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى مكان العسكر ومافيه داع مجيب، فقد انطلق الناس، فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى، وعرفت أنه سيرجع إلى حين يفقدونى، فوالله إنى لمضطجعه إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجاته، فلم يبت مع الناس فرأى سوادى، فأقبل حتى وقف على، فعرفنى، وقد كان يرانى قبل إن يضرب علينا الحجاب، فلما رآنى قال" إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله (ﷺ) وأنا متلففة فى ثيابى، قال: ماخلفك يرحمك الله؟ قالت فما كلمته، ثم قرب البعير فقال: اركبى، واستأخر عنى قالت فركب وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس.

ولكننا ماأدركنا الجيش، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع صفوان يقود بعيرى، فقال أهل الإفك ماقالوا فاضطرب العسكر، والله ماأعلم بشيء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن مرضت مرضا شديدا، وقد انتهى الحديث إلى رسول (ﷺ) وإلى أبوى وهم لايذكرون لى منه قليلا ولاكثيرا، إلا أننى قد أنكرت من رسول الله بعض لطفه بى، فقد كنت إذا اشكيت رحمنى، ولطف بى فلم يفعل ذلك بى هذه المرة، فأنكرت ذلك منه فقد كان إذا دخل على وعندى أمى تمرضنى قال: كيف تيك؟ لايزيد على ذلك.

قالت -رضى الله عنها- حتى وجدت فى نفسى فقلت: يارسول الله - حين رأيت مارأيت من جفائة لى- لو أذنت فانتقلت إلى أمى فمرضتنى، قال: لاعليك - فانتقلت إلى أمى ولاعلم لى بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوما عربا لانتخذ الكنف فى بيوتنا، فكنا نذهب إلى فسح المدينة، وكانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح خالة ابى بكر الصديق (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى كسائها فقالت: تعس مسطح، قلت بئس- لعمر الله- ماقلت لرجل من المهاجرين، قد شهد بدرا قالت: أو مابلغك الخبر يا بنت أبى بكر؟ قلت: وماالخبر؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك، قلت: أوقد كان هذا؟ قالت نعم.

فوالله ماقدرت على أن أقضـــى حـاجتى ورجعت، فوالله مـازلت أبكـى حتى ظننت أن البكاء سيشق كبدى، وقلت لأمى يغفر الله لـك، تحـدث النـاس بما تحدثوا به ولاتذكرون لى من ذلك شيئا قالت:أى بنية خفضى عليك،فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها، لها ضرائر إلا كـثرن عليهـا، وكـثر الناس عليها، فقالت:سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا ؟!

فبكيت تلك الليلـة حتـى اصبحت لايرقـأ لـى دمـع، ولا أكتحـل بنـوم ثـم أصبحت أبكي، وفي أثناء ذلـك دعـا رسول اللـه (ﷺ) علـى بـن أبـى طـالب وأسامه بن زيد (رضي الله عنه) حين استلبث الوحـى يسـتأمرهما فـى فـراق أهلـه، فأما أسامه بن زيد فأشار عليه بماعرف من براءة أهله، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود، فقال: يارسول الله أهلك ومانعلم إلا خيرا، وأما على فقـال: يارسول الله، لم يضيق الله عليك، والنســاء سـواها كثير، وان تسـأل الجاريـة تصدقك "فدعاها الرسول فقال: أى بريـرة، هـل رأيـت شـيئا يريبـك؟ قـالت: لا والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا أغمضه أكثر من أنها جاريـة حديثـة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكل.

وقد قام رسول الله (ﷺ) يخطب فى الناس ولا أعلم بذلك، فحمد اللـه وأثنى عليه، ثم قال "أيها الناس مابـال رجـال يؤذوننـى فـى أهلـى، ويقولـون عليهم غير الحق، والله ماعلمت منهم إلا خـيرا، ويقولـون ذلـك لرجـل واللـه ماعلمت منه إلا خيرا، ومايدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى".

وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبى بن سلول فـى رجـال مـن الخـزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب كانت عنـد رسول الله (ﷺ) ولم تكن من نسائه امراة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرهـا، وأما حمنة أختها فأشاغت ما أشاغت تضادنى فى أختها فشقيت بذلك.

فلما قال رسول الله (ﷺ) تلك المقالة قال اسيد بن حضير يارسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونا من إخواننـا الخـزرج فمرنـا بـأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم فقال سعد بن عبادة من الخـزرج "كذبـت، أما والله ماقلت هذه المقالة إلا انك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولوكـانوا مـن قومك ماقلت هـذا، فقال اسيد: كذبت لعمـر اللـه، ولكنـك منـافق تجـادل عـن المنافقين قالت عائشة: وتثاورالنـاس حتـى كـاد يكـون بيـن الأوس، والخـزرج شر.

وبينما كنت أبكي ومعى أبواى وامرأة من الأنصار تبكى معى، إذ دخل علينا رسول الله (ﷺ) ثم جلس عنـدى ولـم يجلـس مـن يـوم قيـل فـى مـاقيل قبلها، وقد مكث شهرا لايوحى إليه فى شـأنى بشـىء، فتشـهد حيـن جلس، ثـم قال: "اما بعد بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك اللـه تعـالى، وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله تعـالى، وتوبـى إليـه، فـإن العبـد إذا اعـترف بذنبه، ثم تاب تاب الله تعالى عليه".

فلما قضى رسول الله مقالته احتبس دمعى حتى ما احس منه بقطرة فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله فيما قيل "قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله" فقلت لأمى: أجيبى رسول الله قالت: " والله ما ادرى ما أقول لرسول الله" وأنا جارية حديثة السن، ولاأقرأ كثيرا من القرآن فقلت "إنى والله أعلم أنكم سمعتم حديثا تحدث الناس به، واستقر فى نفوسكم وصدقتم به، فلئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقننى به، فوالله ماأجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف، إذ قال "فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون" ثم تحولت فاضطجعت على فراشى، وأنا والله أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى، ولكن والله ماكنت أظن أن ينزل الله تعالى فى شأنى وحيايتلى، ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله (ﷺ) فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها. فوالله مابرح مجلسه ولاخرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ماكان يأخذه من البرحاء فسرى عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لى: ياعائشة احمدى الله تعالى فقد برأك، فقالت لى أمى: قومى إلى رسول الله، فقلت لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى، هو الذى برأنى، فأنزل الله تعالى: إن الذين جاءوا بالإفك .... الآيات" تلك هى مؤامرة الإفك كما روتها السيدة عائشة -رضى الله عنها- وقد رأينا ماذا فعلت تلك المؤامرة القذرة بالمجتمع المسلم، ولولا رحمة الله تعالى وفضله لعصفت تلك الأحداث بالمسلمين.

ولكن ماذا بعد هذه المؤامرات التى شنها الأعداء؟ ومانتائجها؟ هل كانت النتيجة سبا للأعداء والمنافقين بوجه خاص، وصخبا وتشنجا؟ لقد كانت

النتيجة على العكس من ذلك فائدة وخيرا للمجتمع المسلم، والقرآن يقول عن الإفك"لاتحسبوه شرا لكم، بل هو خير لكم" وهذا ماستعرضة الآن.

ونتائج المؤامرات الثلاث:

لقد كان الأعداء يريدون هزيمة المجتمع المسلم فى ميدان الأخلاق مكمن تفوق هذا المجتمع، ولذا وجه الله تعالى الدعوة إلى المسلمين لسد مافى جبهة الأخلاق عندهم من ثغرات فكانت نتيجة المؤامرة الاولى ماكان بسورة الأحزاب من التعليمات الآتية لإصلاح النظام الاجتماعى:

١- أمرت أزواج النبى بمايلى: أن يلزمن بيوتهن فلا يخرجن لغير حاجة - ألايتبرجن تبرج الجاهلية الأولى- إذا دعت الضرورة إلى أن يتكلمن إلى غير المحارم فلا يخضعن بالقول وليقلن قولا معروفا.

٢- منع الرجال من دخول بيوت النبى (ﷺ) بدون إذن، وإذا أرادوا أن يسألوا أمهات المؤمنين شيئا فليكن ذلك من وراء حجاب، أو من وراء ستار.

٣- أقيم الفرق بين المحارم وغير المحارم من الرجال وقصر الإذن فى دخول بيوت أزواج النبى (ﷺ) على المحارم منهم فقط.

٤- قيل للمؤمنين إن أزواج النبى أمهات لهم، ومن ثم فإن حرمتهن عليهم حرمة أبدية مثل حرمة الأم على ابنها، فعلى المؤمنين جميعا أن يكونوا طاهرى القلب والنيات نحو أزواج النبى جميعا.

٥- من أعظم الذنوب إيذاء النبى (ﷺ) وكذا ايذاء كل مؤمن أو مؤمنة أو الطعن فى عرضها أو اتهامها دون دليل.

٦- أمرت أزواج النبى وبناته ونساء المؤمنين كافة أن يدنين عليهن من جلابيبهن إذا دعتهن الحاجة للخروج من بيوتهن.

هذا بالإضافة إلى ماجاء عن المنافقين مما سنتعرض له بعد ذلك، أما عن المؤامرة الثانية فقد أنزل الله تعالى فى سورة المنافقون "هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون" ، يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايفقهون " ٨،٧/المنافقون.

وكان نتيجة مؤامرة الإفك هذه الأوامر والتعليمات التى أكملت النظام الاجتماعى فى الإسلام أو نظام الحجاب وهى:

١- الزنا جريمة جنائية وعقوبتها مائة جلدة لغير المحصن.

٢- لايليق بالمسلمين أن يتزوجوا بفاسقات ولايليق بالمسلمات ان يتزوجن بفساق.

٣- اتهام المسلم بالزنا -بدون دليل- جريمة عقوبتها الجلد مع عدم قبول شهادة هذا المتهم بعد ذلك.

٤- شرع اللعان.

٥- على المسلم الا يحكم على الناس والأمور معتمدا على مايشاع عنهم، بل عليه التثبت والتروى فى قبول مايقال أو رفضه او ترديده.

٦- توعد القرآن من يحاول إشاعة الفجور والفحشاء بين المسلمين بواسطة ترديد ما يقال عن هذه الأشياء بالعذاب الأليم.

٧- كل مسلم برىء غير متهم حتى يثبت العكس، فالأساس عند المسلم حسن الظن بغيره من المسلمين.

٨- لادخول للبيوت بدون استئناس أهلها.

٩- أمر الرجال والنساء بغض النظر.

١٠- أمرت النساء بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن، وألا ينكشفن على غير المحارم أو الأطفال أو من لاحاجة له فى النساء من خدم البيت، أو من لا إربة له من الرجال.

١١- لايحل للمرأة أن تظهر زينتها خارج بيتها، كما لايحل لها أن تلبس ماله صوت من الحلى.

١٢- ندد القرآن بالعزوبة وحث المجتمع على ترويح العزاب، والإسراع فى هذا الأمر.

١٣- شرعت وسيلة من وسائل تحرير العبيد فى الإسلام وهى المكاتبة.

١٤- نهى عن البغاء وبيع الأعراض.

١٥- على الأطفال والخدم الاستئذان فى ثلاث حالات: قبل صلاة الفجر- وقت القيلولة-بعد صلاة العشاء.

١٦- يباح للعجائز اللاتى لايجدن فى أنفسهن رغبة فى الرجال أن يخففن من خمرهن ولكن حذرهن من التبرج، وإن كان القرآن قد فضل بقاء الخمار حتى فى هذه الحالى، وهو مايجب أن نتمسك به الآن، فالأرجح فى هذه الأيام ألا تخفف العجائز من الخُمُر.

١٧- يباح للأقارب والأصدقاء الذين لاكلفة بينهم أن يأكل بعضهم من بيت بعض دون إذنه، فالواحد منهم يتصرف كأنه فى بيته تماما، وذلك حتى يزاد المسلمون ترابطا وتآلفا.

ومع هذه الأحكام والأوامر أميط اللثام عن سمات المنافين والمؤمنين الواضحة، هذا بالإضافة إلى تقوية نظام الجماعة المسلمة، وإحكامه أكثر من ذى قبل، وسنعرض لكل ذلك خلال دراستنا لسورة النور.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور

مدنية وهى ٦٤ آية

سورة انزلناها:

﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ /١

يلاحظ هنا هذه البداية التى لم تكن لسورة غيرها من القرآن الكريم، فالله يقول"أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها" كل ذلك بصيغة الجمع دلالة على أن منزل هذه الآيات هو إله قوى قادر بيده أمرنا وحياتنا ومماتنا.

كما أن الله يردف كلمة أنزلناها بكلمة فرضناها، ومعنى ذلك أن هذه السورة ليس المقصود من إنزالها التعبد بتلاوتها فقط، ولكنها نزلت لتنفذ، ورحم الله الإمام الحسن البصرى حين قال محددا وظيفة القرآن الكريم "نزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملا" هذا أيام الحسن فمابالنا الآن!! على أية حال فإن هذه البداية تحتم على كل مسلم قرأ هذه السورة أن ينفذ ماجاء بها، وإذا كانت بعض الأحكام معطلة الآن فإن على كل مسلم أن يتخذ الأسباب لتنفيذها، فهى واضحة بينة.

جريمة الزنا

﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين ا لله إن كنتم تؤمنون با لله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ /٢.

تقرر هذه الآية أن الزنا جريمة يعاقب عليها القانون الإسلامى، هذه العقوبة تتناسب مع شناعة هذه الجرم وخطره على المجتمع، فهذه العقوبة أو الحد حسب التعبير الفقهى، يعتبر أشد الحدود فى الإسلام تقريبا، وبخاصة بالنسبة للزانى المحصن الذى يرجم حتى الموت.

حد الزنا :

إذا زنى غير المحصن فإنه يجلد مائة جلدة، ثم يغرب عاما إلى بلد آخر غير بلده حتى لاتفوح رائحة جريمته.

أما المحصن فإنه يرجم حتى يموت، وإن كانت الآية هنا لم تنص على حد المحصن، بل اقتصرت فقط على حد الجلد المقرر على غير المحصن، إلا أن الرجم ثابت بسنة الرسول (ﷺ) وإجماع الصحابة-رضوان الله عليهم- فقد أقيم حد الرجم على عهد الرسول والصحابة وتابعيهم أيضا، ولم يكن بينهم أدنى شك، أو جدال فى رجم الزانى المحصن.

شـــروط الاحصـــان:

لايعتبر الرجل محصنا أو المرأة كذلك إلا إذا توافر مايلى:

١- الحرية، فلا رجم للرقيق، فمن زنى منهم عبدا كان أو أمـة فحده الجلد خمسين جلدة.

٢- الزواج بنكاح صحيح، فمن تمتع بأمة أو بامرأة من طريق غير شـرعى فليس محصنا، ولابد فى الزواج هنا من الدخول، فمن عقد ولـم يدخـل بزوجة فليس محصنا.

٣- الإسلام فمن ارتكب جريمة الزنا مـن غير المسلمين، فـلا رجـم، لأنـه غير محصن، ولكن هذا الشرط محل خلاف بين الفقهاء، إذ يرى الإمـام أبو حنيفة والإمام مالك أن الكافر غير محصن، ومن ثم لايرجـم ويـرى الشافعى وابن حنبل العكس، وهو مانميل إليه إذ هؤلاء القوم فـى حاجـة إلى حد رادع أكثر من غيرهم.

كيفية اثبات الجريمة:

يمكن إثبات هذه الجريمة بوسيلتين:

١- الإقرار وهو سيد الأدلة-كما يقال-ولكن على القضاء أن يتثبت من هـذا الإقرار كما فعل رسول الله (ﷺ) فإن حصل التـأكيد بوقـوع الجريمـة الشنعاء أقام القاضى الحد.

٢- الشهود، ولابد أن يكونوا أربعة رجال عدول يتفقون جميعا على أنهم رأوا فلانا بالتحديد يزنى بفلانة بالتحديد، بل يجب أن يشهدوا أنهم رأوا ذلك رأى العين.

ومن الواضح أن الإسلام يبالغ فى التشدد والدقة فى إثبات هذه الجريمة، وذلك مرده إلى خطرها على المجتمع، إضافة إلى العقوبة الصارمة والحد الرادع الذى يتناسب مع شناعة الجرم نفسه.

مبررات تشديد العقوبة :

لاشك أن المبرر الأول هنا هو ماللزنا من أثر مدمر على حياة الفرد والمجتمع على السواء من اختلاط الأنساب وضياع الحقوق وانتشار الفجور وضياع الطاقات الفعالة وعدم الاستقرار.

وهناك مبرر آخر هو أن الإسلام هيأكل الظروف ليقضى الإنسان شهوته من طريق حلال بالزواج أو بملك اليمين، ثم أغلق كل الطرق والمزالق المؤدية إلى الزنا، ولذا فإن من وقع فيه بعد ذلك كله فهو مستحق للجلد إن كان غير محصن والرجم إن كان محصنا.

أما هذه الوسائل التى أغلق بها الإسلام الطرق المؤدية إلى ارتكاب الزنا فهى:

١- العناية بإصلاح النفس وملء القلب بخشية الله حتى يكون عند المسلم وازع داخلى من نفسه يمنعه من الوقوع فى المحرمات، هذا بالإضافة إلى تكرار التحذير من الزنا وأنه من أشنع الجرائم.

٢- إتاحة السبل لقضاء شهوة الإنسان من طريق الزواج الذى ييسره الإسلام لكل راغب أو ملك اليمين، وفىالزواج يفتح الطريق أما والرجل ليتزوج مثنى وثلاث ورباع، أما فى ملك اليمين فلا حد له، وليملك الرجل مايشاء من الإماء وليتمتع بهن كما يشاء.

٣- إزالة البواعث والدواعى التى تهيئ الفرص لارتكاب الزنا، فالمرأة لاتخرج من بيتها لغير حاجة، وإذا خرجت فلا يكون ذلك إلا بشروط معينة من ستر العورة وعدم إبداء الزينة، إلى آخر ماورد فى نظام الحجاب.

٤- الغاء البغاء والمواخير[1].

وبعد هذا كله إذا تحركت نفس المرء الى الزنا، ووقع فيه، حق عليه الجلد أو الرجم، بل إن من يقترف هذه الجريمة أمام أربعة من الرجال يرونه عيانا بيانا لهو فى أمس الحاجة إلى هذه العقوبة الصارمة التى تطهر المجتمع من أمثاله.

وفى نفس الوقت فإن من وقع فى حبائل الشيطان وأراد أن يطهر نفسه ويزكيها فاعترف بأنه ارتكب الزنا وتأكد القضاء من اعترافه مثل هذا الإنسان

---

(١) البيوت التى تمارس فيها الفاحشة.

الذى يريد أن يعود إلى ربه وقد خلص من هذا الدنس لحرى بربه أن يطهره ويزكيه فيقام عليه الحد فى هذه الحالة حتى يعود إلى ربه وقد خلع عن نفسه رداء الفاحشة التى ألبسه اياها الشيطان.

الزنـــا بالمحرمات :

الزنا بالمحرمات كالأم والأخت جريمة شنعاء عقوبتها الإعدام ومصادرة الأموال، ويرى الإمام أبو حنيفة والشافعى ومالك أنه يعاقب بعقوبة الزنا، والأول أولى لأنها جريمة بشعة تنفر الطباع السوية منها.

اما اللـــواط :

فهو ذنب كبير بشع استحق بسببه قوم لوط لعنة الله وعقابه، أما عقوبة اللواط فهو قتل الأعلى والأسفل[1] وعلى اختلاف الآراء فى كيفية هذا القتل وأداتة، ويرى بعض الأئمة أن عقوبته الرجم مطلقا للمحصن وغيره وبعضهم يرى أن عليه حد الزنا أى الجلد لغير المحصن والرجم لمن أحصن، ويرى الإمام أبو حنيفة أن العقوبة هنا هى مجرد التعزيز، ولكن إن اعتاد أحد الناس اللواط كان من حق الإمام أن يقتله.

أما إتيـــان البهـــائم :

فقد اعتبره بعض الفقهاء زنا ومن ثم فالجلد لغير المحصن والرجم لمن احصن، ويرى بعض الأئمة أنه ليس بزنا فعقوبته التعزيز فقط.

---

(١) وإن ظهور مرض فقد المناعة، أوطاعون العصر(الايدز) لهو تحذير من رب العزة وإنذار، فاعتبروا يأولى الأبصار.

والمقام لايتسع هنا لمزيد من التفصيل عن قضية الزنا، ومن أراد تفصيلا أكثر فإنه يمكن أن يرجع إلى تفسير سورة النور للعلامة الإمام المودودى ومختلف كتب التفسير والفقه.

ولنعد بعد هذا الحديث عن الزنا إلى تفسير الآية الثانية التى تنص على حد الزنى غير المحصن، وهو الجلد مائه جلده، كما تحذر المسلمين من شعور الشفقة والرحمة بالزانى، فهو لايليق بنا، إن كنا مؤمنين حقا، لأن مثل هذا الشعور إزاء الجناة هو طريق إلى الفساد والفجور، فإذا زنى الرجل-وكذلك المراة-ثم وجد بعد ذلك من يشفق عليه، فإن ذلك سيؤدى حتما إلى عدم إقامه الحد، ومن ثم يقع الفساد، ويعم الفجور، وتنشر الفحشاء، ولذا يحذر الله المسلمين من هذا الشعور بقوله ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ ثم أشار إلى أن الإيمان يقتضى عدم الرأفة بالزناة، ولذا أضاف إلى قوله السابق ﴿إن كنتم تؤمنون با لله واليوم الآخر﴾.

فكأنّ الإيمان يؤدى إلى عدم الرأفة هنا، وفى هذه الأمور بالذات. ونذكر هنا بعض الأحاديث النبوية التى تلقى الضوء على هذا الأمر وتذكر عقابه عند الله:جاء فى الحديث أنه يؤتى بوال قد زاد عن الحد سوطا فيقال له"لم فعلت ذاك؟ فيقال: لينتهوا عن معاصيك، فيقال له: أنت أحكم بهم منى؟ فيؤمر به إلى النار، ويؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له: لم فعلت ذلك؟ فيقول: رحمة بعبادك، فيقال له أنت: ارحم بهم منى فيؤمر به إلى النار.

هذا من يزيد سوطا أو ينقص فما بالنـا بمـن لايعـترف بهـا، أو يعتبرهـا وحشية لاتليق بالقرن العشرين، أليست النار مثوى لهؤلاء جميعـا؟ إنهم بذلـك يتهمون الشارع وهو الله -عزوجل- بهذه التهم، فإن وصـف أى حد من حدود الله بالقسوة أوعدم اللياقة معناه أن كل هـذه النعـوت موجهـة إلـى رب العـزة، وأخرى بهؤلاء المشفقين علـى الزنـاة أن يشـفقوا علـى مجتمعهـم الـذى يسـقط حتمـا فـى حمـأة الرذيلـة ومسـتنقع الخنـا والفجـور، إذا لـم يطبـق شـرع اللـه وبخاصـة الحـدود-أى العقوبـات التـى قررهـا الإسـلام لمختلـف الجرائـم- والرسول(ﷺ) يقول"لحد يقام فى الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعيـن صباحا"صدق رسول الله.

والملاحظ أن القرآن يقول ﴿ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ فهاتـان الكلمتان الأخيرتان تفيد أن هذه العقوبة أو هذا الحد مـن ديـن اللـه أو هـو فـى دين الله، وهـو مايشـير إلـى أن كلمـة الديـن-عنـد المسـلمين-لاتعنـى الصـلاة والصيام والزكاة.... الخ فقط.

فهذه تسمى العبادات أو شعائر التعبد أما الدين فإنه يشمل إلى جانب هذه الشعائر كل ما امـر بـه اللـه أو نهـى عنـه فـى مجـالات ومنـاحى الحيـاة، فـى الجانب الاجتماعى والسياسى والاقتصـادى، وكـل مايشـمل حيـاة الإنسـان مـن الميلاد حتى الوفاة، ومعنى دين الله "نظـام اللـه فـى الحيـاة" هـذا هـو المفهـوم الإسلامى، أما المفاهيم الأخرى فلا يعترف بها الإسلام، ولايلتفت إليها.

والملاحظ أن الآية هنا تبدا بالزانية اما فى اية السرقة"السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" فإنها تبدأ بعقوبة السارق، وليس السارقة، وذلك لما هو معروف من دور المرأة فى جريمة الزنا، أما فى السرقة فالرجال أكثر جرأة من المرأة فيها.

والقرآن يحتم العلانية فى حد الزنا، وذلك ردعا لمن يفكر فى ارتكاب هذه الجريمة وحتى لايجترئ حاكم على تخفيف الحد أوالزيادة فيه، ولهذا "فليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" والعذاب هنا هو حد الزنا.

﴿الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة[1]، والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك، وحرم ذلك على المؤمنين﴾ /٣.

لايليق بالمسلم أن يتزوج بزانية أو مشركة، فالزانية لايليق بها إلا زان مثلها أومشرك، وقد نزلت هذه الآية فى مرثد الغنوى الذى كان يحمل الأسرى من مكة إلى المدينة فقد كان يعرف فى جاهليته امرأة يقال لها عناق، وفى إحدى الليالى المقمرة كان بمكة يحاول حمل أسير من المسلمين، فى تلك الليلة عرفته صديقته عناق فكان بينهما هذا الحوار:

---

(١) المراد من اعتاد الزنا من الرجال والنساء دون من يتوبون ويصلحون أنفسهم.

عنـــــــاق : مرحبا وأهلا، هلم فبت عندنا الليلة.

مـــــرثـــد : ياعناق حرم الله الزنا.

عناق صائحة : يا أهل الخيام، هذا الرجل يحمل أسراكم.

وتتبع مرثدا (رضي الله عنه) ثمانية رجال، ولكنه استطاع أن يفلت منهم، وجاء صاحبه فحمله إلى المدينة، فسأل رسول الله(ﷺ) "أنكح عناقا"؟ أنكح عناقا؟ فأمسك رسول الله حتى نزلت الآية فقال الرسول: يامرثد، الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة، فلا تنكحها.

وهنا نرى هذا الرجل المسلم الطاهر وقد تهيأت له فرصة الزنا فى الليل دون أن يكشف أمره أحد ومع امرأة فاجرة مشركة، ولكنه رفض وأبى برغم أنها فضحت أمره، وكان بمقدوره أن يتعلل -لوأراد- بأنه فى مهمة خطيرة فلا بأس أن يصانع المرأة البغى، فيفعل بها ماتريد حتى تكتم أمره، وبذلك لايعرض حياته وحياة مسلم آخر للخطر، ولكنه فضل المخاطرة بالحياة على أن يرتكب الزنا، ولو فى تلك الظروف، فإن الله لايصلح عمل المفسدين ولايعترف المسلم بمبدأ: "الغاية تبرر الوسيلة" فإذا كانت غايتنا شريفة فلا بد ان تكون الوسيلة أشرف وأطهر، وإن رجلا فاجرا أو امرأة فاجرة لايمكن أن يؤسسا إلا مجتمعا فاسدا لايلبث أن ينهار ويتهاوى.

احكام التجويد فى الآيات

(١-٣)

فى سورة أنزلناها"إظهار نون التنوين قبل الهمزة-إخفاء النون قبل الزاى فى "أنزلناها "وكذلك فى أنزلنا"-فى "فيها آيات بينات" مد منفصل للألف فى(فيها) بسبب الهمزة بعدها-وهناك إخفاء شفوى لنون التنوين قبل الباء فى "بينات"ونون التنوين فى بينات مدغمة فى لام"لعلكم".

"فاجلدوا" قلقلة الجيم الساكنة، لأنها من حروف "قطب جد"-فى"واحد منها "إدغام نون التنوين فى ميم "منها"-فى "تأخذكم بهما "إخفاء الميم قبل الباء-فى رأفة فى "إخفاء التنوين قبل الفاء-فى "إن كنتم" إخفاء النون الكاف والتاء فى "ليشهد" قلقلة الدال الساكنة-فى "طائفة" مد متصل واجب-إدغام نون التنوين فى ميم "من".

فى "ينكح" إخفاء النون الساكنة قبل الكاف-فى زانية "أو" إظهار التنوين قبل الهمزة-إظهار التنوين فى"زان أو"إخفاء النون قبل الكاف فى"ينكحها"والمد المنفصل الجائز للألف قبل الهمزة"ينكحها الا".

الرمـــــــــى

والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأرعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا، وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم"٤،٥.

المقصود بالرمى هنا هو الاتهام بالزنا بدون دليل وبدون القدرة على إثبات الجريمة، أى جريمة الزنا.

وإثباتها كما هو معروف إما بالإقرار والاعتراف أو شهادة أربعة من الرجال، وهذا الاتهام أو الرمى، ويسمى القذف لايكون جريمة إلا إذا استهدف المحصنات[1] -وكذلك المحصنون من الرجال أيضا- أما اتهام غير المحصن، أى المعروف بالزنا والفجور فلا يعد من الرمى وليس على المتهم حد الرمى المعروف، وإنما يمكن أن يعزر حتى لايشيع كلام الفاحشة بين المسلمين، وهذا الأمر متروك للقضاء.

والمحصنات-وكذلك المحصنون-هن العفائف البريئات من ارتكاب الفاحشة، وعقوبة من يتهمن بالزنا الجلد ثمانين جلدة إضافة إلى عدم قبول شهادة الرامى أمام القضاء، كما تسقط شهادته أمام المجتمع أما عند الله فهو من الفاسقين، أى ليس بعدل عند الله ولاعند الناس.

ويشترط أن يكون الذى يرمى-حتى يقام الحد-إضافة إلى العفة الإسلام والحرية، فمن رمى كافرا أو رقيقا، فلا جلد، وتبقى عدالته، ولكن يعزر فقط فمن تاب بعد ذلك وأصلح فإن الله غفور رحيم، والاستثناء هنا يعود إلى العقوبة الأخيرة، وهى الفسق، وتبقى شهادته مردودة، وهذا مايراه الإمام أبو حنيفة-رحمه الله-ويرى غيره أن الاستثناء يعود على رد الشهادة أيضا، فإن تاب قبلت شهادته، فقد ردت إليه عدالته عند الله والناس.

---

(١) ذكر النساء خاصة لما لهذا الاتهام من خطر عليهن وتأثير.

وهذه العقوبات الثلاث او التعزيز تهدف إلى منع إشاعة الكلام الفاحش حتى لاتفوح رائحة الزنا الكريهة فى المجتمع، فإن الإسلام يحرص على نقاء المجتمع وطهره لدرجة أنه لايسمح لأى فرد من أفراده أن يلوك هذا الكلام المشين، فالمسلم برىء، من هذه الفواحش ومن حديثها.

ولا ينفذ الإنسان من جريمة القذف وعقوباتها إلا أن يأتى معه بثلاثة شهود يأتون إلى القاضى فيشهدون بأنهم رأوا فلانا يزنى بفلانه، وإلا جلد وسقطت عدالته أمام الله والناس.

"اللعـــــان"

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم"٦-١٠.

تكلمنا عن جريمة القذف أو الرمى ورأينا أن حدها الجلد، وسقوط العدالة ولكن ماذا لورمى الرجل زوجته؟ هل يطالب بالشهود لإثبات اتهامه؟ أم يقام على الزوجة حد الزنا؟

إن الرمى هنا لن يكون إلا اذا تأكد الرجل فعلا من سوء سلوك زوجته فلا يرضى زوج أن يفضح أهله ونفسه إلا إذا تأكد من كلامه، كما أن الزوج لا يمكن أن يعيش مع امرأة يحس نحوها بشئ- ولو يسير - من الشك والارتياب، ولذا كان اللعان.

كل هذه الأمور وغيرها ثارت فى رأس الصحابى الجليل سعد بن عبادة سيد الأنصار الذى دار بينه وبين الرسول والأنصار هذا الحوار.

سعد : يارسول الله، أهكذا أنزلت؟يعنى آية الرمى.

الرسول : يامعشر الأنصار ألا تسمعون مايقول سيدكم؟

الأنصار: يارسول الله، لاتلمه، فإنه رجل غيور، والله ماتزوج امراة قط إلا بكرا، وماطلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شد غيرته.

سعد: والله يارسول الله إنى لأعلم أنها الحق من الله، ولكنى تعجبت أنى لو وجدت لكاعا- امرأة خبيثة-قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه، ولا أحركه، حتى آتى بأربعه شهداء فوالله إنى لا آتى بهم حتى يقضى حاجته.

ومالبثت المدينة إلا قليلا حتى ظهر ماخافه هذا الصحابى الجليل ورفع الأمر إلى رسول الله(ﷺ) إذ جاء رجل إليه قائلا، يارسول الله إن أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه، وإن تكلم جلدتموه، وإن سكت سكت على غيظ فكيف يفعل؟ فقال رسول الله:اللهم احكم.

وجاء هلال بن أميه فقال"يارسول الله، إنى جئت أهلى عشاء فوجدت عندها رجلا، فرأيت بعينى وسمعت بأذنى فكره الرسول ماجاء به، واشتد عليه، قال:البينة وإلا حد فى ظهرك.

فاجتمعت عليه الأنصار، وقالوا قد بلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله هلال بن أمية، ويبطل شهادته فى الناس، فقال هلال:والله إنى لأرجو أن يجعل الله منها مخرجا، وقال للرسول: فإنى أرى ما اشتد عليك مماجئت به، والله يعلم إنى لصادق.

وكاد رسول(ﷺ) يأمر بجلده حتى نزلت آيات اللعان:"والذين يرمون أزواجهم.... الآيات.

وطريقة اللعان التى يجريها القاضى تتضح فى قضية هلال الذى لاعن الرسول بينه وبين زوجته كمايلى:

أرسل إلى الرجل وزوجته فتلا عليهما الرسول آيات اللعان، ثم وعظهما فذكرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، فقال هلال:والله يارسول الله، لقد صدقت عليها.

الزوجة :كذب.

الرسول :لاعنوا بينهما.

فقيل لهلال : اشهد، فشهد اربعه شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فلما كانت الخامسة قيل له:هلال اتق الله، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب.

وقال الرسول مرارا: الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ قال هلال: والله لايعذبنى الله عليها، كما لم يجلدنى عليها، وشهد فى الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ثم قيل للمرأة: اشهدى أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، وقيل لها عند الخامسة:اتقى الله، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة(١)، وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومى،فشهدت فى الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق بينهما رسول الله(ﷺ) وقضى ألا يدعى ولدها لأب، ولايرمى ولدها، ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد، وقضى ألا بيت لها عليه، ولاقوت لها، لأنها يفترقان من غير طلاق أو وفاة، ثم قال للناس إن جاءت به اصيهب-فى شعره حمرة-أربشح، حمش الساقين-ضعيف البنية-فهو لهلال، وإن جاءت به أورق-أسمر-جعدا حماليا خدلج الساقين سابغ الإليتين-قوى البنية-فهو الذى رميت به، فجاءت به اورق حماليا خدلج الساقين سابغ الإليتين، فقال رسول الله لولا مضى من كتاب الله، لكان لى ولها شأن.

ويمكن للمرأة أن تطلب الملاعنة إذا اتهمها زوجها بالزنا أو بحر ولدها.

نتائج اللعان

إذا تم اللعان بين الزوجين حكم القضاء بما يلى:

---

(١) لحظة، أى وقت قليل جدا.

١- لا عقوبة على الرجل أو المرأة.

٢- إذا أنكر الرجل ولد المرأة ألحق بها ولدها، ولايدعى إلى الرجل أو يرثه، وإنما يرث أمه وترثه.

٣- لايسقط عن الرجل صداق المرأة.

٤- تحرم المرأة على الرجل.

هذا إضافة إلى مافعله الرسول(ﷺ) مع هلال وزوجته.

وفى نهاية أحكام اللعان يقول الله: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته" بكم ماجاءكم بهذا المخرج من عقوبة الرمى أو الزنا، هذا المخرج هو اللعان الذى ينقذ الزوج من الجلد، وينقذ المرأة من الرجم ، والله سبحانه وتعالى تواب حكيم، يتوب على عباده، حكيم يشرع من الأحكام مايصلح الأحوال ويقيم الاعوجاج.

"أحكام التجويد فى الآيات"

من ٤-١٠

المد المتصل الواجب فى "شهداء"قلقلة الجيم فى "فاجلدوهم" إدغام التنوين إدغاما ناقصا فى الواو فى"جلدة ولا"-قلقة القاف فى "تقبلوا"-إظهار التنوين قبل الهمزة فى "شهادة أبدا"-المد فى "أولئك-الإخفاء الشفوى للنون قبل الباء فى "من بعد" -إدغام التنوين فى الراء فى "غفور رحيم".

إدغام النون فى اللام فى"يكن لهم"-المد المتصل فى"شهداء"-إخفاء التنوين قبل الباء فى "شهادات بالله"-إخفاء النون قبل الكاف فى"إن كان-قلقلة الدال فى"يدرأ" إخفاء النون قبل التاء فى"أن تشهد"-إظهار التنوين قبل الحاء فى "تواب حكيم".

حديث الإفك

"إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ماكتسب من الإثم، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، وقالوا: هذا إفك مبين" لو لا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء ،فأولئك عند الله هم الكاذبون"ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم. إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم، وتحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم، ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك، هذا بهتان عظيم، يعظكم الله أن تعودوا والمثله أبدا إن كنتم مؤمنين، ويبين الله لكم الآيات، والله عليم حكيم" ١١-١٨.

تتناول هذه الايات قصة الإفك والتى كانت سبب نزول السورة وقد ذكرناها بالتفصيل على لسان السيدة عائشة-رضى الله عنها- وتبرئ هذه الآيات أم المؤمنين ممانسب إليها زورا وكذبا، وقد سبقت هذه البراءة أحكام الزنا والقذف واللعان لإشعار المسلمين أن اتهام أحد بالزنا ليس أمر سهلا

هينا، فإنه إن ثبت الاتهام حكم على الزانى بالجلد أو الرجم، وإن لم يستطيع إثبات اتهامه فإنه يجلد ثمانين جلده وتسقط عدالته أمام الله والناس.

"إن الذين جاءوا بالإفك عصبة..... " إن الذين رددوا مارددوا عن السيدة عائشة من الإفك والكذب هم عصبة منكم، أى جماعة، ليس واحدا أو اثنين، برغم ذلك فهو ليس شرا لكم، بل هو خير، وهذا الخير يكمن فى الأمور التالية التى ردت كيد المنافقين إلى نحورهم:

١- لقد ثبت أن هذا المجتمع الذى أراد المنافقون تحطيم نظامه هو انه مجتمع فى غاية النظام والثبات والطهر والنقاء، ويتمثل ذلك فى عدة مواقف ومشاهد نقتبسها مماحدث أثناء حديث الإفك: إن هذا المجتمع الإسلامى بلغ من الطهر والنقاء لدرجة أن الذين رددوا حديث الفاحشة لم يزيدوا عن ثلاثة، هم حسان بن ثابت، ومسطح بن اثاثه وحمنة بنت جحش، أما ابن أبى وزيد بن رفاعة فمنافقان، ولنا أن نقدر مبلغ طهارة المجتمع إذا عرفنا أن زينب بنت جحش التى كانت تنافس السيدة عائشة فى مكانتها عندالرسول(ﷺ) قالت فى ضرتها"يارسول الله، احم سمعى وبصرى، والله مارأيت إلاخيرا".

قالت عائشة"وهى التى كانت تساميني من أزواج النبى فعصمها الله بدينها وورعها وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك"، وكانت عائشة تبدى عطفها نحو حسان بن ثابت، ولاتقابله إلا بتواضع وإحسان، مع أنه كان

ممن أذاع حديث الإفك، ولما ذكرها بعض الناس بذلك قالت"إنه كان يدافع عن رسول الله".

هذا ماكان من أمر من اتصلوا بحديث الإفك، أما عامة المسلمين فلنا أن نقدر طهارتهم وصفاء قلوبهم من هذا الحديث الذى دار بين أبى أيواب وأم أيوب الأنصاريين:

أبوأيوب : ألا ترين مايقال عن عائشة؟

أم أيوب : لوكنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله(ﷺ)؟

ابو أيوب :لا.

ام أيوب : ولوكنت بدل عائشة ماخنت رسول الله، فعائشة خير منى وصفوان خير منك.

ولقد أثبتت الحوادث هدوء أعصاب الرسول(ﷺ) قائد هذه الدولة وزعيم هذه الجماعة، لقد كانت إشارة منه كفيلة بأن يطاح بتلك الرءوس التى أشاعت عن أهل بيته ما أشاعت.

وكيف يسكت عن هؤلاء الناس الذين اتهموا ابنة الصديق، أقرب المقربين إليه إن هذا الأمر لوحدث الآن لأطيح بكل الرءوس التى قالت أو سمعت وكل من يمت لهم بصلة أو بدون صلة، وانتظر الرسول صابرا محتسبا حتى نزلت براءة أهل بيته من السماء.

٢- وكان من الخير للمسلمين فى الإفك أنهم تأكدوا أن الرسول(ﷺ) لايعلم الغيب، وإنما هو بشر مثلنا، يأكل الطعام، ويمشى فى الأسواق، وكان يتصرف تصرف الإنسان الذى لايعلم شيئا عن الغيب، فماهو إلا وحى يوحى.

٣- وكان من الخير فى حديث الإفك نزول الأحكام الخاصة بالزنا والرمى واللعان وأحكام الحجاب الأخرى، تلك الأحكام التى أكملت النظام الاجتماعى فى الإسلام، وأحكمت نظام المجتمع المسلم، حتى لم يعد للمنافقين ثغرة ينفذون منها إلى مؤامرة من مؤامراتهم.

"لكل امرىء منهم ماالكتسب[١] من الإثم، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم" لكل فرد نصيبه من الذنب على قدر مشاركته فى إشاعة حديث الإفك، ولكن الذى تولى كبر الإفك وأوقع بعض المسلمين فى حبائله -وهو رأس النفاق عبد الله بن أبى -له عذاب عظيم".

"ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا...."

يعتب القرآن على بعض المسلمين الذين رووا حديث الإفك ويلومهم، فقد كان عليهم إبداء حسن الظن بأفراد مجتمعهم وأهل دينهم وبخاصة أم المؤمنين زوجة نبيهم وابنة الصديق، وهذا الصحابى الجليل صفوان، وأن

(١) وهنا نرى الإسلام لايعاقب إلا من تورط فى الجريمة، دون غيره من أقاربه أو معارفه، فقد وقعت حمنة أخت زينب بنت جحش فى الإفك، ومع ذلك لم يطلقها الرسول (ﷺ) او يوجه إليها لوما بسبب مقالة أختها ووقوعها فى الإفك.

يقيسوا ذلك على أنفسهم هم، فإن كانوا يمكن أن يقعوا فيما رددوا من كذب وبهتان على صفوان وأم المؤمنين، فهم إذا ليسوا على طهر أو نقاء، وهم يتحينون الفرصة لارتكاب الزنا وإذا لم يكن كذلك بالتاكيد، فقد كان عليهم عند سماع الإفك أن يقولوا سبحانك ياربنا هذا كذب واضح صراح، ومن هنا نعلم أن حسن الظن بالمسلمين هو الأساس فى معاملتهم والحديث عنهم.

"لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء..." إن هذا الحديث الذى خاضوا فيه ليس أمرا سهلا هينا، فهذا الكلام لاينبغى أن يقوله مسلم، لأنه سيطالب بالدليل على مايقول، وهو يتمثل فى شهود أربعة، يشهدون بارتكاب الزنا ومن ثم يقام حد الزنا، وهو إن عجز عن ذلك كان عليه حد القذف، وما أشيع عن عائشة -رضى الله عنها- لم يستطع أحد أن يثبته، وقد نشأت تلك الإشاعة عن رؤية صفوان وأم المؤمنين وقد تخلفا عن الركب، ولو كانا قد دبرا شيئا -والعياذ بالله- لما مرّا أمام الجيش بهذه الطريقة.

وإذا كان هؤلاء المرددون لحديث الإفك لم يستطيعوا إثبات مايقولون عن أم المؤمنين فإنهم عند الله كاذبون، ولذا لما نزلت براءة عائشة أقام الرسول (ﷺ) الحد على حسان ومسطح وحمنة، وهم الذين رددوا الإفك من المسلمين، أما الاثنان الآخران فهما منافقان.

ويعاود القرآن الحديث الى المرددين للإفك: لقد تلقفتم هذا الكلام بألسنتكم، وتكلمتم بشئ تحسبونه هينا قليل الشأن، وهو عند الله عظيم الخطورة،وكان ينبغى أن تقولوا حينما سمعتموه: ليس من شأننا ولا من حقنا

أن نتكلم بهذا، فهو أمر لايليق بنا، لأنه بهتان وزور كبير، يحذركم الله ويعظكم أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين بالله وشرعه وتعظمون رسوله (ﷺ) فأما الكفار والمنافقون فلهم شأن آخر.

"ويبين الله لكم الآيات، والله عليكم حكيم" أى يوضح لكم الأحكام الشرعية والسنن الكونية، فألله عليم بما يصلح عباده حكيم فى شرعه وقدره.

أحكام التجويد فى الآيات

١١-١٨

المد المتصل الواجب فى "جاءوا" -إدغام التنوين فى الميم فى "عصبة منكم"- إخفاء النون قبل الكاف فى "منكم" -إدغام التنوين فى اللام فى "شرا لكم" وكذلك فى خير لكم " -إدغام التنوين فى الميم "امرئ منهم" -إدغام الميم فى الميم فى "منهم ماكتسب" -قلقلة الباء فى "كبره"وكذلك مد الضمة فى هاء الكناية إلى واو مد فى "كبره له" -إظهار التنوين قبل العين فى "عذاب عظيم" -إخفاء النون قبل الفاء فى "أنفسهم" -إدغام النون فى الواو إدغاما ناقصا فى (خيرا وقالوا)- المد المنفصل الجائز فى "هذا إفك" -إدغام التنوين فى الميم فى "إفك مبين".

المد المتصل الواجب فى "جاءوا -شهداء- بالشهداء- أولئك - إخفاء النون قبل الدال فى "عند" - مد الضمة إلى واو مد فى "ورحمته" - يراعى إظهار الميم قبل الفاء فى "لمسكم فى - أفضتم فيه" - المد الجائز فى "فيما

أفضتم" إظهار التنوين قبل العين فى "عذاب عظيم" - مد هاء الكتابة فى "تلقونه" - إدغام الميم فى الميم فى "بأفواهكم ما" - إخفاء الميم إخفاء شفويا قبل الباء فى "لكم به" - مد كسرة هاء الكناية إلى ياء مد فى "به" -إدغام التنوين إدغاما ناقصا فى الواو فى "علم وتحسبونه" - مد ضمة الهاء فى "تحسبونه" - ادغام التنوين فى الواو فى "هينا وهو" - اخفاء النون قبل الدال فى "عند" - إدغام الميم فى مثلها فى "قلتم ما" - قلقلة الباء فى "سبحانك" - إظهار التنوين قبل العين فى "بهتان عظيم" - إخفاء النون قبل التاء فى "إن تعودوا" -المد الجائز فى "لمثله أبدا" -إخفاء النون قبل الكاف وقبل التاء فى "إن كنتم" - إدغام الميم فى الميم فى "كنتم مؤمنين" - اظار التنوين قبل الحاء فى "عليم حكيم".

اشاعة الفاحشة وخطورتها

"إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة، والله يعلم وأنتم لاتعلمون، ولولا فضل الله عليكم ورحمته، وأن الله رءوف رحيم، ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا، ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم" ١٩-٢١.

إن الذين يعملون على إشاعة الفاحشة والفجور فى المجتمع المسلم بأية وسيلة من الوسائل لهم عقاب شديد فى الدنيا والآخرة.

والمقصود بكلمة يحبون الآية الحب المؤدى الى العمل، وليس المقصود المشاعر والاحاديث التى تظل حبيسة القلوب فلا عقاب عليها، فسبب العقاب هنا فى الدنيا والآخرة هو الحب المؤدى الى العمل الفعلى لإشاعة الفاحشة.

ووسائل نشر الفاحشة ليست مقصورة عنها وإشاعة بين الناس، بل يمتد الى كل عمل من شأنه ان يعلى راية الفجور فى المجتمع مثل توفير وسائل الفاحشة كما تشمل ايضا محاربة الطهر والعفاف ووضع العوائق والحواجز بينه وبين أفراد المجتمع، ويتم ذلك كله بوسائل شيطانية عديدة وماكرة، منها الخمور والأدب والماجن الداعر-هذا ان صح ان يسمى ادبا-ونشر البغاء والدعارة-مستترا او ظاهر-وايجاد المشكلات والصعاب التى تجعل الزواج-وهو من اهم وسائل الاحصان-امر عسيرا صعبا، وتوفير وسائل منع الحمل للأخذ ان والفساق حتى لاتظهر دلائل الجريمة، وحتى تختفى معالمها، وكذلك الغناء الماجن والرقص الداعر..... الخ.

كل هذه الامور التى تدعوا الى نشر الفاحشة وانهيار النظام الاخلاقى محرمة فى المجتمع الاسلامى، كما ان القانون بمنعها ويعاقب كل من يعمل على نشرها او تشجيعها، والقضاء الاسلامى والشرطة مطالبة بالقضاء على كل ماييسر الفاحشة ويجعل العفة والطهارة فى المجتمع امر صعبا او شاقا.

"والله يعلم وانتم لاتعلمون" يوجه القرآن الكريم كلمته الى الصحابة قائل لهم: انكم لاتعرفون عواقب الحديث عن الفاحشة وهذا الإفك والكذب الذى تقول به بعضكم انه احدى وسائل نشر الفوضى الخلقية والانهيار الأخلاقى فى

مجتمعكم، والله يعلم بكل العواقب وانتم لاتعلمون، فردوا الأمور اليه ترشدا."ولولا فضل الله عليكم....." لولا فضل الله عليكم ورحمته لكان امر اخر، ولكنه تعالى رءوف بعباده رحيم بهم لأنه تاب على من تاب اليه من وقع فى الإفك، وطهر من طهر منهم بالحد الذى اقيم عليه.

"ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان...."لايزال الشيطان- واتباعه على الأرض-يحاولون ايقاعكم فى حبائل المعاصى والفجور والانحلال، ولو لم يتداركم بفضله ويلهمكم التميز بين الشر والخير والحق والباطل لما سلم واحد منكم من كيده.

والله سبحانه وتعالى لايزكى الا من يعلم اخلاصه ورغبته فى الطهر والعفاف، وهو يسمع كل من يتكلم به الإنسان فى سره وعلنه عليم بما يخفى وما يعلن، ومن ثم فالله-عز وجل-لايزكى الا من يستحق ذلك ويطلبه ويعمل جاهدا على تحصيله.

احكام التجويد فى الايات١٩-٢١:

إخفاء النون قبل التاء فى"أن تشيع" -إظهار التنوين قبل الهمزة فى عذاب أليم"-إخفاء التنوين قبل الفاء فى "أليم فى"-الإخفاء قبل التاء فى "أنتم" إشباع هاء الكناية فى"ورحمته"-تغليظ لام لفظ الجلالة لسبقها بفتح فى"إن الله"-قلقلة الطاء فى"خطوات"-الادغام بغنة فى"ومن يتبع"-اشباع هاء الكتابية فى"فإنه"- المد المتصل فى الفحشاء-الإخفاء قبل الكاف فى "المنكر" تغليظ لام لفظ الجلالة فى"فضل الله"-إشباع الهاء فى "ورحمته"- إخفاء النون قبل الكاف فى

"منكم" من -إظهار النون والتنوين قبل الهمزة فى "من أحد أبدا" -إدغام التنوين فى الواو"أبدا ولكن"-تغليظ لام لفظ الجلالة فى"ولكن الله"-إدغام النون فى الياء فى"من يشاء - إظهار التنوين قبل العين فى"سميع عليم".

ألا تحبون أن يغفر الله لكم

"ولايأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يوتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، والله غفور رحيم"الآية ٢٢.

كان مسطح ممن خاض فى حديث الإفك برغم أنه كان ابن خالة الصديق ينفق عليه، لأنه كان من المساكين، فلما نزلت براءة عائشة حلف أبوبكر أن لاينفق على مسطح أبدا،لأنه لم يراع حق القرابة ناسيا أفضال الصديق عليه وأياديه، ولما نزلت الآية قرأها الرسول (ﷺ)على أبى بكر فقال للنبى"بلى، إنا نحب أن يغفر لنا ربنا، وعاد-كما كان-ينفق على ابن خالته وأهل بيته قائلا "لاأنزع منه النفقة أبدا".وروى أن بعض الصحابة فعلوا مافعل أبوبكر الصديق فرجعوا عن أيمانهم كما رجع الصديق، ثم كفروا عن أيمانهم مصداقا لقول الرسول(ﷺ)(من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه".

وبذلك قضى على أهم أهداف مؤامرة الإفك، وقد زالت الجفوة بين المسلمين وأصبح نظام جماعتهم أقوى، وأشد إحكاما عن ذى قبل.

احكام التجويد فى الآية٢٢.

إخفاء النون قبل الكاف فى منكم-إدغام النون فى اليـاء فـى"أن يؤتـوا - ترقيق اللام فى لفظ الجلالة لأنه سبقها كسر فى "سبيل الله"- إدغام النون فـى الياء فى" أن يغفر-إدغام التنوين فى الراء فى "غفور رحيم".

رمى المحصنات الغافلات

"إن الذيـن يرمـون المحصنـات الغـافلات المؤمنـات لعنـوا فـى الدنيـا والآخرة، ولهم عذاب عظيم، يوم تشهد عليهـم السنتهم وايديهـم وأرجلهـم بمـا كانوا يعملون، ويومئـذ يوفيهـم اللـه دينهـم الحـق ويعلمـون أن اللـه هـو الحـق المبين، الخبيثات للخبثين، والخبيثون للخبيثـات، والطيبـات للطيبيـن والطيبـون للطيبات، اولئك مبرءون ممايقولون لهم مغفرة ورزق كريم٢٣-٢٦.

إن كل من يتهم المحصنات-أى العفيفات الطاهرات-اللائى لاتفكير لهن فى الفاحشة، ولاعهد لهن بها، أو دراية عنها، كـل مـن يتهـم المؤمنـات منهـن بارتكاب الزنا فهو مطرود من رحمة الله فى الدنيا والآخرة، وفى هذا الإشارة إلى براءة السيدة عائشة ممانسب إليها إفكا وكذبا.

ويـوم القيامـة تشـهد عليهـم-مـن يرمـون المحصنـات-ألسـنتهم وأيديهـم وأرجلهم بماكانوا يعملـون فـى دنيـاهم، فـإن"قـذف المحصنـة يهـدم عمـل مائـة سنة"كما فى الحديث الشريف، إن الله عادل، لايظلم أحدا فى الوعد أو الوعيـد أو الحساب.

لايليق بالرجل الخبيث إلا امرأة خبيثة مثله،ولايليق بالطيب الا امرأة طيبة مثله، وماكان أن يخوص صحابى فى شرف رسول الله (ﷺ) فماكان ليتزوج بامرأة خبيثة، أو امرأة تحوم حولها أدنى الشبهات، والرسول وعائشة وصفوان والطيبون مبرءون ممايقال عنهم، لهم من الله المغفرة فى الآخرة والرزق الكريم فى الدنيا.

ويلاحظ أن الرزق وصف بالكرم، ولم يوصف بالسعة أو الكثرة، لأنه رزق الطيبين رزق حلال لاشبهة فيه من حرام، ووصف الرزق بأنه كريم معناه أنه جمع كل الصفات الطيبة، على عادة العرب فى استخدام كلمة كريم بمعناها العام، وليس بمعنى الجود والسخاء فقط، وكريم هنا تتناسب مع الحديث عن الطيبين والطيبات، وجزاوهم يتناسب مع وصفهم هذا، وهم يستحقونه فعلا، وصفوة القول ان كلمة كريم تكاد توازى كلمة طيب، وجزاء الطيبين الذين يستحقونه هو الرزق الكريم الطيب.

احكام التجويد فى الآيات ٢٣-٢٦

إظهار التنوين قبل العين فى عذاب عظيم"-إدغام التنوين فى الياءفى"عظيم يوم"-إخفاء الميم قبل الباء فى"أرجلهم بما"- إدغام التنوين فى الياء فى "يومئذ يوفيهم" المد المتصل فى "أولئك"-إدغام النون فى الميم فى"من ماأومما"-إدغام التنوين فى الواو فى"مغفرة ورزق"-إخفاء التنوين قبل الكاف فى"رزق كريم.

من احكام الحجاب

١-الاستئناس:

"ياأيها الذين آمنوا، لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحدا لاتدخلوها حتى يؤذن لكم، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم، والله بماتعملون عليم، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيهما متاع لكم، والله يعلم ماتبدون وماتكتمون"٢٧-٢٩.

إن الاسلام حين حرم الزنا فقد حرم الأسباب الداعية إليه، ومن هذه الأسباب ماكان عند العرب من الهجوم على البيوت دون استئذان-او استئناس بالطبع-فقد كانوا يدخلون بيوت الناس قائلين"حييتم صباحا أو مساء"بدون إذن بالدخول من أصحاب البيت، وقد تقع أنظارهم على بعض أهل البيت، وبخاصة النساء، وهم فى حالة لايصح النظر إليهن فيها، وهم لايحبون ذلك، ومن ثم أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئناس من قبل الدخول، ومعنى الاستئناس تحسس استعداد أهل البيت لاستقبالنا، فهل الوقت مناسب للزيارة؟ وهل لدى البيت رغبة فى مقابلتنا والحديث إلينا؟ ويستطيع الإنسان أن يدرك هذه الأمور كلها بنفسه، فإن وجد الظروف غير مواتية، والوقت غير مناسب فإن عليه أن ينصرف دون محاولة الاستئذان.

وفرق بين الاسئناس والاستئذان فهذه الأخيرة لاتعنى غير طلب الإذن والسماح بدخول البيت، اما الأولى فهى أعم وأشمل إذ تعنى أيضا بالإضافة

إلى طلب الإذن بالدخول. أن تستشف ونستشعر ما إذا كان أهل البيت على استعداد لدخولنا واستضافتنا أم لا؟

وحين نزلت هذه الآيات منع رسول الله (ﷺ) الاطلاع على دار الغير او حتى النظر فى كتابه[1]"دون إذنه، فمن نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار"وكان رسول الله (ﷺ) إذا أتى باب قوم لايستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول:"السلام عليكم" يقول الرسول" لو أن امرءا اطلع عليك بغير إذن فقذفته بحصاة ففقأت عينه ماكان عليك جناح".

ولم يقتصر الأمر على ان الرجل لايدخل على أمه بدون استئذان، بل إن الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود كان إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يرى من أهل بيته ما يكره فإذا كنا نفعل ذلك مع الأم والزوجة فإنه مع غيرهما أولى وألزم.

إذا لا يحق للمسلم أن يدخل بيت غيره إلا بعد الاستئناس والتسليم على أهل البيت-كما كان يفعل المصطفى-فإن لم يجد فى البيت أحدا يسمح أو بأذن بالدخول، فليس للمسلم أن يدخل، فإن خلو البيت من أحد ليس مبررا لدخوله والجلوس فيه.

---

(١) المقصود بالكتاب الرسالة أو الخطاب وليس المقصود كتاب النحو أو الصرف مثلا.

"وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا، هو أزكى لكم"فإذا لم يأذن لكم أهل البيت فارجعوا دون غضاضة أو حرج، أو اعتبار ذلك إهانة من أهل البيت لك، فإن من حق صاحب البيت أن يعتذر عن المقابلة إذا كان مشغولا، أو ليس على استعداد لاستقبال أحد، فإن الرجوع عندها أفضل وأزكى، والله عليم بكل مانعمل.

هذا عن البيوت الخاصة، أما غيرها من الفنادق وبيوت الضيافة والحوانيت ودور المصالح العامة والشركات والمكتبات العامة، فلا جناح على المسلم فى دخولها-بدون استئذان-والله سبحانه وتعالى يعلم كل مانبديه ونكتمه، فهو عليم بالسر والعلن.

احكام التجويد فى الايات ٢٧-٢٩

المد المتصل فى"يا أيها"-قلقة الدال فى"تدخلوا"إظهار التنوين قبل العين فى بيوتا "غير"-المد المنفصل فى"على أهلها-إدغام النون فى اللام فى"فإن لم"-المد المنفصل فى"فيها أحدا"-قلقلة الدال فى"تدخلوها"-إخفاء النون قبل القاف فى"إن قيل"-إظهار التنوين قبل الهمزه فى "جناح أن"

-إخفاء النون قبل التاء فى"أن تدخلوا"-إظهار التنوين قبل الغين فى"بيوتا غير"-إخفاء التنوين قبل الفاء فى"مسكونة فيها"-ادغام التنوين فى اللام فى"متاع لكم.

٢- غض البصر:

"قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم، ان الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أوآباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخواتهن أوبنى إخواتهن أوبنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن او التابعين غير أولى الإ ربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنين لعلكم تفلحون"٣٠-٣١.

من هذه السبل التى يمكن ان تؤدى بالإنسان الى الزنا النظر الى النساء وإلى عورات الرجال، ولذا أمر الله-سبحانه وتعالى بغض البصر، وهو يعنى كف النظر عما لايحل من نظر الرجال إلى النساء أونظر الرجال الى عورات الرجال، ويستثنى من ذلك الفجاءة، فقد سئل عنه النبى (ﷺ) فأمر بغض البصر، كما يستثنى أيضا عند الزواج بلء ان النظر فى هذه الحالة مستحب، كما يستثنى نظر القاضى إلى المرأة عند الشهادة أو التقاضى أو عند التحقيق وكذلك يستثنى نظر الطبيب المسلم عند العلاج.

وقوله تعالى"من أبصارهم"يدل على أن المسلم لايسير فى طريقه، أويعامل الناس وهو مغمض العينين، بل إنه يمنع هذا النظر أن يقع على حرام، ويصرفه إلى الأرض، أوإلى جهة أخرى، ويتضح هذا الأمر من مقارنته بالأمر الثانى"ويحفظوا فروجهم" فلم يقل القرآن"من فروجهم"لأن صرف النظر كلية أمر غير ممكن، أما حفظ الفرج فأمر ممكن من هذه الناحية.

حفظ الفرج ليس المقصود منه حفظه من الشهوة الحرام فقط ،وهى التى لا تأتى من طريق الزواج أوملك اليمين-نقول ليس المقصود ذلك فقط، بل إن الأمر يتعداه إلى عدم كشف الفروج- العورات- حتى ولو كان المرء وحده، فإن معه فى هذه الحالة-ملكين لايفارقانه إلا عند قضاء الحاجة، وقد سئل رسول الله (ﷺ) عن كشف العورة وليس مع الإنسان أحد فقال"إن الله أحق أن يستحيا منه، ولايباح كشف عورة الرجل أو النظر إليها إلا للزوجة أوملك اليمين، أى جارية الرجل أو أمته.

وغض البصر وحفظ الفروج-العورات-أزكى للرجال فالله سبحانه خبير بكل مايصنعون.

وقد يتساءل المرء: إذا كانت النساء تقر فى البيت لايخرجن لغير حاجة-أولغير ضرورة-وإن خرجن فهن ساترات لعوراتهن فما الداعى إذن إلى غض البصر؟

الواقع أن المجتمع لايسلم من وجود غير المسلمات اللائى يمكن أن يتخففن من ستر عوراتهن أو إبداء زينتهن للرجال، كما أن المسلمة التى تلزم نفسها بستر العورة وعدم إظهار الزينة ربما يظهر من زينتها شىء برغم احتياطها الشديد، وربما نتعرض لهذه النقطة بالذات فيمابعد، وإنى لأرى أن المرأة مهما بالغت فى ستر جسمها وزينتها فإنها تبقى-برغم ذلك-فتنة للرجال، ولذا امرهن الله بالبقاء فى البيوت وعدم الخروج إلاعند الضرورة وبشروط خاصة، كما أمر الرجال بغض النظر.

وماقيل عن غض البصر وحفظ العورة عند الرجال يقال أيضا بالنسبة للنساء، إضافة إلى بعض الأحكام الخاصة بالنساء، وقد أمر النساء بغض البصر أيضا فلايحل لهن أن ينظرن إلى الرجال عمدا أولغير حاجة، وإذا وقع نظرهن فجأة على أحد من الرجال فليصرفنه، كما أن عليهن أن يتجنبن النظر إلى عورات الرجال من باب أولى أو حتى النساء، إلا أن نظر الرجال النساء ليس كنظر النساء إلى الرجال الأجانب، إذ يحل للنساء النظر إلى الرجال عند الحاجة، ومن ثم يمكن لهن الخروج إلى المساجد والأسواق والأسفار، وفى هذه الحالة لاحرج عليهن من النظر إلى الرجال عند الحاجة، ولكن لايصح الاختلاط فى المجالس أو النظر باشتهاء إليهم، أو رغبة فى الاستمتاع بحسنهم.

والسبب فى هذا الفارق بين النظر إلى الرجال والنظر إلى النساء أن جسم المرأة كله فتنة للرجل، وليس كذلك بالنسبة للرجل ومن ثم لم يكن التشدد فى نظر المرأة إلى الرجل.

وعلى المرأة أيضا أن تحفظ عورتها فلا تشبع شهوتها إلا من طريق حلال، وهو الزواج أو ملك اليمين، ولاتكشف عورتها أمام الرجال أو النساء -باستثناء الزوج-غير أن المرأة يباح لها أن تكشف أمام المحارم-مثل الأب والأخ والابن-ماتشتد الحاجة إلى كشفه ويتعذر ستره عند الانشغال بأعمال البيت مثل كشف الذراع أوجزء منه عند الغسل أو الطبخ مثلا، وعورة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبى جميع البدن ماعدا الوجه والكفين، وأما عورة النساء للنساء وكذلك عورة الرجال للرجال فهى مابين السرة والركبتين، وعلى المرأة

أيضا إضافة إلى ذلك ألا تبقى شبه عارية أمام غيرها من النساء، بل يجب عليها ألا تكشف عن شيء من جسمها مما دون العورة إلا لحاجة أو ضرورة، هذا بالنسبة للنساء المسلمات، أما غير المسلمات فإن العورة بالنسبة لهن جميع البدن ماعدا الوجه والكفين، إذ لايباح للمسلمة أن تكشف عن غير الوجه والكفين أمام المرأة غير المسلمة، لأنها غير أمينة ويمكن أن تصف للرجال مارأت من عورات المسلمات.

والإسلام لايطالب المرأة بغض البصر وحفظ الفرج فقط بل يطالبها بأمور اخرى:

(أ) عدم إظهار الزينة، من الملابس الجميلة المثيرة والحلى وغير ذلك من أدوات الزينة المباحة-فى الشعر والوجة الا ماظهر منها، رغما عنها، مما لايمكن ستره، أوظهر بدون إرادتها أورغبتها فى أن يخف الرداء بسبب هبوب الريح، أوماكان ظاهرا بنفسه لايمكن إخفاؤه، وهى تستدعى نظر الرجال، لأنها على أبدان النساء، هذا ماتعنيه عبارة"إلا ماظهر منها".

(ب) أن يضربن يخمرهن على جيوبهن "الخمر" جمع خمار، وهو ما يخمر-يغطي-الرأس والجيوب جمع جيب، وهو الصدر، والمراد بضرب الخمر على الجيوب أن تغطى تلك الخمر الرؤوس والأعناق والنحور والصدور، بكل مافيها من حلى وزينة، لتخالف المسلمات نساء الجاهلية اللائى كن يظهرن نحورهن وصدورهن وماحولها، فقد كن يسدلن

الخمر وراءهن، فأمرت المسلمات بإسدال الخمر من الأمام لتغطية الجيوب والصدور والجزء الأمامى من العنق.

أما المحارم الذين يباح للمرأة أن تظهر زينتها أمامهم-بدون أن تتعمد ذلك-إلا مع الزوج فهم:

الأب والجد وإن علا أحدهما-أبو الزوج وحده وإن علوا-أبناء المرأة وأبناء زوجها-الإخوة وأبناؤهم-أبناء الإخوة-النساء المصاحبات للمرأة اللائى يعرفن عنها كل شيء، وذلك مثل الخدم والوصيفات-وغيرهن-العبيد أو الإماء على اختلاف بين العلماء فى تفسير"أو ماملكت أيمانهن"-التابعون للمرأة من الخدم والأجراء الذين إربة لهم اى شهوة بالنساء[1] الأطفال الذين لم يظهورا على عورات النساء، أى أحوال النساء وعوراتهم، أما المراهق أو الطفل الذى يفرق بين القبيحة والحسناء فلايدخل على النساء البتة.

واحتجاب المرأة عن الأجانب وابداء الزينة امام المحارم يحتاج الى مناقشة بعض السائل:

---

(١) ولايكفى ضعفه الجنسى أوعجزه عن إتيان الفحشاء، بل يشترط ألا يكون فى اختلاطهم بالنساء فتنة كأن ينقلوا إلى غيرهم من الرجال من أحاديث النساء أو عوراتهن.

١- إن للزوج أن تتزين له زوجته وتتبرج، وله أن يستمتع بها كما يريد، وله أن يطلع على أى جزء من أجزاء جسمها، وليس الأمر كذلك بالنسبة للمحارم، ولو كان الأب نفسه، ومعنى إبداء الزينة أمام المحارم أنها لا تؤاخذ على ظهور زينتها أمام هؤلاء المحارم، أما أن تتعمد ذلك فلا يكون إلا للزوج فقط أو ملك اليمين.

٢- إن الأقارب المذكورين فى الآية ليس فيهم العم والخال، ويرى بعض العلماء أن النبى(ﷺ) ضم إلى الأقارب المذكورين فى الآية كل من يحرم عليهم الزواج بالمرأة مثل العم والخال وزوج البنت والأقارب من الرضاعة، إلا أن ابن كثير يذكر أن الاية أغفلت العم والخال، ومن ثم لاتضع الخمار أمامها، أى تبقى مختمره معهما، لأنها يصفان لأبنائهما.

٣- إن الأقارب من غير المحارم لايعاملون معاملة المحارم، وفى نفس الوقت لايعاملون معاملة الأجانب الذين لاتربطهم بالمرأة قرابة ما، وإنما يعاملون حسب درجة القرابة من المرأة ومنهم، واحتمال الفتنة أوعدم احتماها.

(جـ) لايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن، والأمر ليس مقصورا على الصوت فقط، بل يتعداه إلى كل فعل يثير الرجال من التطيب والتعطر ورفع الصوت لغير حاجة شديدة أو فائدة دينيه أو خلقية، فإن الإمام إذا أخطأ فى الصلاة قال الرجال :سبحان الله، أما النساء فيصفقن ولايتكلمن أويرفعن أصواتهن.

"وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنين لعلكم تفلحون"أى ماقد صدر عنكم فى هذا الشأن من الخطايا والذنوب، وأصلحوا أعمالكم بعد ذلك وفقا لما أمركم به ربكم ورسوله(ﷺ) إنما بهذا تفلحون.

وبعد نزول هذه الأحكام أمر الرسول بمايلى:

١- لايخلو رجل بامرأة إلا إذا كان معها محرم، فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم.

٢- لايمس الرجل بيده جسد المرأة غير ذى محرم، ومن ثم كان يصافح الرجال عند البيعة ولايصافح النساء، وقد أجمع الفقهاء على عدم جواز الرجل للمرأة الأجنبية، إذا لم يوجد حائل، فإن وجد ففيها خلاف، إذ يرى مصافحة بعض الفقهاء جواز المصافحة مادام هناك حائل، ويرى غيرهم المنع فى الحالتين.

٣- لاتسافر المرأة وحدها بدون محرم.

٤- الاختلاط بين الرجال والنساء ممنوع منعا باتا، حتى فى الصلاة والعبادة، ومن ثم فالإسلام لايسمح بالاختلاط مهما كانت المبررات والأعذار.

٥- أمرت النساء بعدم المبالغة فى التزين فقد لعنت الواصلة والمستوصلة- مستخدمات الشعر المستعار- والواشمة والمتوشمة-رسم الشامة على

الوجه بكحل او نحوة-والقاشرة والمقشورة- تغيير لون الوجة بالأصباغ-والمتفلجة[1]، فقد هلكت بنو اسرائل حين اتخذت نساؤهم هذه الطرق من الزينة.

احكام التجويد فى الآيتين ٣٠-٣١

إظهار النون قبل الهمرة فى"من أبصارهم"-إخفاء التنوين قبل الباء فى"خبير بما"- إظهار النون قبل الهمزة فى"من أبصارهن" قلقلة الباء الساكنة فى أبصارهم-ابصارهن-يبدين-وليضربن-المد المتصل فى"آبائهن-آباء-"قلقلة الباء الساكنة والمد المتصل فى"أبنائهن-أبناء"-المد المنفصل فى"بنى إخوانهن-بنى أخواتهن-المد المتصل فى"نسائهن، النساء"-قلقلة الباء فى "يضربن-إخفاء النون قبل الزاى فى"من زينتهن"-المد المنفصل فى"وتوبوا إلى"-إظهار التنوين قبل الهمزة فى جميعا أيها".

٣-الحث على الزواج:

"وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، إن يكونا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم" ٣٢.

---

(١) إيجاد الفلج أى الفراغ بين الثنيتين إلا إذا كان هذا الفراغ موجودا بطبعه.

هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمجتمع المسلم أن يهتم[1] بتزويج الأيامى -غير المتزوجين من الرجال والنساء- فينبغى على الأهل والجيران والأصدقاء أن يعيروا هذا الأمر كل اهتمامهم، وما أحوج المسلمين الآن إلى مساعدة من يريد أن يحصن نفسه بالزواج، ففى هذه الأيام بالذات زادت تكاليف الزواج وأعباؤه بشكل يثقل الشباب فعلى المسلمين الآن أن ييسروا هذا الأمر حتى يصبح فى مقدور راغبى الزواج التفكير فيه وتكوين الأسرة المسلمة.

والله العليم الخبير يحثنا على الزواج لأنه يعلم أنه طريق العفة والطهر والإحصان، ولذا فإن شياطين الإنس الذين يريدون للإنسانية-وبخاصة المسلمون -أن يقعوا فى مستنقع الفجور، هؤلاء الشياطين يعملون جاهدين على وضع العقبات الهائلة فى طريق الزواج، ولهم فى ذلك حيل ومكر قد ينطلى على البسطاء والغافلين.

هذا بالنسبة للاحرار، أما العبيد والإماء فإنهم يعاملون معاملة الأحرار، إذ يحث الإسلام على تزويجهم، وإن كان ذلك منوطا بكفاءتهم وقدرتهم على تحمل أعباء الزواج، كما أن تبعة التزويج ملقاة على عاتق السيد لا العبد أو الأمة، ولايصح للسيد أن يزوج رقيقا إلا إذا عرف أهليته الكاملة وقدرته على حمل عبء الزواج.

---

(١) وفى الحديث الشريف "تزوجوا الولود تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة". أى بكثرتكم.

وهنا نرى الإسلام يعترف للأرقاء بحقهم في الزواج-ماداموا قادرين عليه-ممايسوى بينهم وبين سادتهم في هذا الأمر، فإن هذا الدين يحقق للإنسان العزة والكرامة ولوكان مملوكا، أما الكفر فإنه يسحق كرامة الناس-دون خجل أو حياء- ثم يدعي بعد ذلك أنه يدافع عن حقوق الإنسان.

"إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله" ولاينبغي أن يكون الفقر عقبة في طريق المسلم الذى يرغب في الإحصان، ولاينبغي أن يرفض الرجل لفقره، وكذلك المرأة لاتترك لفقرها، فإن الله -سبحانه وتعالى-قادر على أن يغنيهم من فضله، والله واسع عليم، قال الصديق -رضى الله عنه- "أطيعوا ربكم فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ماوعدكم من الغنى" وعن ابن مسعود "التمسوا الغنى في النكاح".

وليس معنى ذلك أنه لابد لكل من تزوج من الفقراء أن يصبح ثريا من أصحاب الملايين-وإن كان هذا ليس ببعيد على الله ذى الفضل الكريم-كما يردد بعض الناس هذا الحديث المصطنع الذى لم يقله الرسول (ﷺ) وهو"تزوجوا فقراء يغنكم الله"فلا أصل له، وفي القرآن غنى عنه.

وإذا كان الأمر كذلك فمامعنى"إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله"؟ إن ذلك تحذير من رفض الزواج بالفقراء لمجرد كونهم فقراء، وفي هذا أيضا حث للرجال على الإقدام على الزواج والإسراع في ذلك وعدم إرجائه انتظار المزيد من الغنى واليسر، فإن الزواج نفسه باب واسع من أبواب الرزق على الأسرة الجديدة، ومن خاض تجربة الزواج علم يقينا صدق قول الرسول"ثلاثة

حق على الله عونهم:الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء والغازى فى سبيل الله".

٤- الحث على العفاف ومكاتبة العبيد:

"وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله، والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم"٣٣

وليتحل الذين لايستطيعون الزواج بالعفة والطهارة وليستعينوا فى ذلك بالصبر والصيام حتى يغنيهم الله من فضله ويهيئ لهم سبل الزواج، فالصادق الأمين يقول:
"يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".

تحريـــر العبيـــد

لقد جاء الإسلام ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب الناس جميعا،بل قل أخرجهم من عبودية البشرواستعباد الطواغيت إلى الحرية والكرامة، ولقد حرص ديننا على تحقيق كرامة الإنسان حرا كان أم رقيقا وامر الأحرار معروف، وهو ليس موضوعنا، وإنما نريد أن نلقى الضوء على موقف الإسلام من الرق، ولماذا لم يصدر أمر من الله-سبحانه وتعالى- بتحرير جميع العبيد والأماء دفعة واحدة، كما فعلوا فى أمريكا وغيرها من

بلدان العالم؟ ان الإسلام عامل الأرقاء وحررهم بطريقة فريدة تتمثل خطواتها فيما يلى:

١- لقد حصر الإسلام الرق فى أسرى الحرب من الأعداء فقط، وألغى مصادر الرق الأخرى والتى كانت رائجة فى العصور الوسطى، وجعل استرقاق الحر وبيعه كبيرة من الكبائر، أما فى القرن العشرين فإن المأساة لاتقف عند هذا الحد فقط، بل إن الآباء أنفسهم يبيعون فلذات أكبادهم فى تايلاند الفقيرة وفى الولايات المتحدة اغنى دولة فى العالم، ومن لم يصدق ذلك فليقرا الأهرم القاهرية[1] حيث ذكرت أن من المناظر المألوفة وجود أب أو أم يمسك بيد طفله أو طفلته، ينادى المارة ويدعوهم لمشاهدة البضاعة الممتازة ومعاينتها وإظهار محاسنها وترغب الناس فى شرائها، يحدث هذا فى قلب العاصمة التايلندية بانجوك، ويؤخذ هؤلاء المساكين للعمل تحت ظروف قاسية، وبعد ذلك كله يوضعون فى حجرات أشبه بالسجون خوفا عليهم من الهرب، ويعطون فوق هذا وجبتين فقط فى اليوم تمكنهم بالكاد من أداء مافرض عليهم من أعمال.

قد يقال إن الأب حين يجد نفسه أمام خيارين لاثالث لهما، فإما أن يموت طفله من الجوع وإما أن يبيعه لمن يقدر على إطعامه فإنه فى هذه الحالة يختار أخف الضررين، ولكن مهما تكن الشدة والفاقة فلا ينبغى

---

(١) بتاريخ ١٢/٩/١٩٨٠م.

للأب أن يلجأ إلى هذا العمل المشين، بل عليه أن يضحى بنفسه، ولينزع اللقمة من فمه ليضعها فى فم طفله، ومانرى ذلك يحدث فى تايلاند وغيرها إلا لشراهة الناس وجشعهم وأنانيتهم حتى مع أولادهم.

وإذا التمسنا العذر للتايلند يبين بسبب الفقر فكيف نعذر هذين الزوجين الأمريكين اللذين باعا طفلة لشراء سيارة، طراز ١٩٧٧؟ هذه صورة من الحضارة فى القرن العشرين !!.

٢- لقد عامل الإسلام الرقيق-قبل الأحرار-معاملة طيبة كريمة واعتبرهم آدميين كأسيادهم تماما فهم يأكلون مما يأكل منه السادة، ويلبسون كما يلبسون، ويتزوجون أيضا، بل لقد أمر السادة بتزويج عبيدهم وإمائهم، ولاينبغى أن يقال لهم: عبدى وأمتى بل فتاى وفتاتى، ولقد قرأت فى رحلات ابن بطوطة أن دمشق كان بها نوع من الوقف يخصص للعبيد والجوارى الذين يكسر منهم طبق أو زجاجة فى السوق وهم يشترون حاجيات السادة، فهم إن رجعوا إليهم فربما يجرح السيد كرامة العبد أو الجارية بكلمة أو فعل ولذا فإن العبد فى هذه الحالة يذهب إلى صاحب الوقف المذكور ليعطيه ثمن الطبق التالف ليشترى بدلا منه، إلى هذا الحد يحافظ الإسلام على شعور الأرقاء وكرامتهم.

أما هؤلاء الناس الذين ربما يتبجحون بأن الإسلام أقر نظم الرق، بينما حضارتهم وقوانينهم قد ألغت الرق إلغاء كاملا وذلك بإصدار قانون يحرر جميع العبيد ويحرم الاسترقاق تحريما قاطعا، فلقد كان من الممكن لبعض

الناس بأن يصدق هذا الزعم لولا ماكشفه التاريخ عن حقيقة نظام الرق عند الغرب الذى جاء إلى إفريقيا فى حملات ضارية لاسترقاق أحرارها وبيعهم فى سوق النخاسة فى الدنيا الجديدة فى أمريكا، ومنذ لحظة الإمساك بهؤلاء المساكين كانوا يسامون الذلة والهوان، بل كانوا يعاملون معاملة أقسى وأشد ضراوة من معاملة الوحوش الضارية، ولقد عرضت على شاشات التليفزيون فى العالم كله وهنا فى مصر صورة من تلك الوحشية البشعة فى مسلسل جذور عائلة أمريكية، ورأينا فى هذا المسلسل كيف قطعوا نصف قدم من حاول الهرب بهذه الوحشية التى لانظير لها فى التاريخ وكيف كلن يسترق الأحرار ويعاملون.

٣- إن إلغاء الرق بقانون يحرمه ويمنعه أمر ينافى الحكمة، ذلك أن هناك نفوسا اعتادت الرق واصبحت لاتستطيع الحياة فى جو الحرية، نفوسا اعتادت الرق وأصبحت لاتستطيع الحياة فى جو الحرية، ثم هناك الارتباط الإنسانى بين الأرقاء وبين سادتهم، إن بعض العبيد قد توثقت الصلة بينه وبين مولاه بحيث إنه لايستطيع أن يعيش بعيدا عنه، وهناك أسباب اقتصادية تجعل إلغاء الرق دفعة واحدة أمرا يجانب الصواب، إذ هؤلاء حين يخرجون من ظلال ساداتهم إلى المجتمع، إنهم بحاجة إلى المسكن والمأكل والمشرب وفرص العمل لاعالة أنفسهم وذويهم، وربما لايستطيع المجتمع أن يدير هذه الأشياء خاصة إذا كان عددهم كبيرا، إن ذلك يؤدى إلى خلخلة نظام المجتمع، وربما إلى انهياره، ثم ما ذنب صاحب العبيد-قلوا أو كثيروا-وقد اشتراهم بماله أن يفقد هذا المال فى

لحظة واحدة، لأن معنى إلغاء الرق دفعة واحدة ضياع ثروة السادة دون عوض عنها.

وفى أمريكا التى استرقت الأفارقة وأخذت اطفالها من أحضان آبائهم وأمهاتهم ألغوا الرق، ولكن ليس رحمة بالعبيد، بل بسبب تزايد مشاكلهم من الحراسة والإعاشة، ولكن ماذا كانت النتيجة؟

لقد وقف العبيد أنفسهم ضد القرار وكانت الحرب بين المؤيدين والمعارضين لحركة تحرير العبيد ووقف الأرقاء ضد المؤيدين للتحرير وبعد انتهاء الحرب وانتصار جبهة التحرير قامت مشكلات بين السود-المسترقين من إفريقيا-والبيض الأحرار أبناء الاحرار، ولايزال المجتمع هناك يعانى من التفرقة بين هؤلاء وبين هؤلاء ولايزال البيض-برغم كل الكلام المعسول-يتعالون على الأرقاء السود، ولايندمجون معهم.أما فى الإسلام فقد ألغى الرق، ولكن بطريقة تدريجية، كما أخذ فى الحسبان رغبة العبد نفسه فى تحرير نفسه، هذا هو المنهج فى معالجة النفس البشرية.

هذا المنهج يتمثل فيمايلى:

أ- حث المسلمين على عتق الرقاب، وجعله من القربات إلى الله-كما جعله من الكفارات لكثير من الذنوب-ومن هذا الطريق خرج كثير من الأرقاء إلى عالم الحرية.

ب- شرعت المكاتبة فإذا أراد العبد أن يكون حرا فإنه يمكن أن يعقد مع سيده عقدا يتم بمقتضاه إخلاء سبيله ليدفع إلى سيده مايتفق عليه من المال، أو يقوم بما يكلف به من الأعمال، بعدها يصبح حرا فمن أراد الحرية فماعليه إلا أن يطلب من سيده المكاتبة، وليس من حق الأخير أن يرفض-عند الفقهاء-بل عليه أن يعينه بأن يضع عنه جزءا من مال المكاتبة، وعلى المسلمين عامة والدولة الإسلامية خاصة مساعدة المكاتب لأداء ماعليه، وبخاصة أنه يخصص سهم من مصاريف الزكاة لفك الرقاب.

"فكاتبوهم ان علمتم فيهم خير وآتوهم من مال الله الذى آتاكم"

فكاتبوهم........ هذا أمر للسادة بقبول المكاتبة، وقد فسر هذا الأمر على أنه للوجوب، وفسر أيضا على الندب والحث، إلا أن قبول المكاتبة بشرط"إن علمتم فيهم خيرا" ومعنى الخير هنا أن يتوفر فى العبد ثلاثة أشياء:

١- القدرة على الكسب، فلا يترك كلا على الناس، وهو مايخص العبد نفسه.

٢- أن يكون أمينا وفيا، أى يظن فيه الوفاء بما التزم به، فإذا رأى السيد أن العبد يريد الهرب، فقط ولاينوى إتمام المكاتبة رفضها وهذا مايخص صاحب العبد أى مولاه.

٣- وهناك أمر أخير يخص المجتمع الإسلامى، وهو أن يعلم السيد أن المكاتب ليس خطرا على المجتمع أو الدولة الإسلامية أو سيستغل حريته فى الكيد للمسلمين.

"وآتوهم من مال الله الذى آتاكم" على السيد أن يساعد المكاتب على الوفاء بالتزاماته بأن يضع عنه جزءا من مال المكاتبة، وعلى المجتمع أيضا أن يساعد كل رقيق يريد الحرية.

جـ- أبيح للرجل أن يوصى بعتق رقيقه مهما كثروا، وكذلك تعتق الأمة بعد وفاة سيدها إذا استمع بها فولدت له ولدا.

وهكذا عالج الإسلام موضوع الرق، وانتهى الرق الآن فى الشرق بدون مشكلات ولاعقد أما أمريكا فلا تزال مشكلات الزنزج-عبيد الماضى بلا حل.

٥- الغاء البغاء :

"ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم، ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين" ٣٣، ٣٤

إن البغاء-بيع الأعراض والفجور- كان رائجا فى بلاد العرب وكانت له صور كثيرة منها ماكانت تقوم به بعض الإماء اللائى أعتقن ولم يكن لديهن من ينفق عليهن، وكذلك بعض الحرائر اللائى لاعائل لهن إذ كانت إحداهن

تجلس فى بيت وتعاهد عدة رجال- فى آن واحد- على أن ينفقوا عليها مقابل قضاء شهوتهم منها، فإذا حملت جاءت بهم فأخبرتهم ثم قالت "هو ابنك يا فلان تسمى من تشاء منهم، ومن صور البغاء ماكان بواسطة الإماء إذ كان السادة يفرضون على إمائهم الشابات مبلغا كبيرا من المال فى الشهر، ولم يكن أمامهن غير طريق الفجور للوفاء بما يطلبه السادة.

وكان بعض الناس يجلسون جواريهم فى الغرفات وينصبون على أبوابهن الرايات لمن أراد قضاء حاجته، فكان لكثير من الرؤساء والوجهاء فى الجاهلية مثل هذه البيوت التى تعرف بالمواخير.

وقد كان لعبد الله بن أبى رأس النفاق فى المدينة والذى كان من المقرر أن يتوج ملكا فى يثرب قبل هجرة الرسول(ﷺ) والذى اختلق على عائشة الإفك الذى تولى كبره، هذا المنافق كان له ست جوار جميلات يكرههن على البغاء، ابتغاء لعرض الدنيا من المال الذى يكسبه من الفجور، ومن اولادهن ليكثر منهم خدمه وحاشيته، بل كان يقدمهم إلى أضيافة لينال مكانة عندهم أو مكافأة منهم"

وكان من جواريه جارية تسمى معاذة أسلمت فأرادت التوبة، ولكن عبد الله بن ابى تشدد عليها فشكت إلى أبى بكر -رضى الله عنه- ذلك فرفع الأمر إلى رسول (ﷺ) فأمره بقبضها، فصاح عبد الله المنافق "من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا" فنزلت الآية"ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء..... الآية.

وليس معنى ذلك أن البغاء بهذه الصورة السابقة هو المرفوض فقط فإذا لم يكن هناك إكراه، أو كان الفجور تحت مبرر آخر أو لافتة أخرى، فلم يكن مثلا بغية الحصول على عرض الحياة فهل يباح؟؟

كلا كلاء بل إن البغاء بجميع صوره وأشكاله محظور فى الدولة الإسلامية التى تعاقب كل من يرتكبه أو يشجع عليه أو يدعو له.

"ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم" وفى نفس الوقت صدر عفو عام عن الإماء أو السادة الذين ارتكبوا هذه الجريمة قبل نزول الحكم بالغاء البغاء.

"ولقد أنزلنا إليكم الآيات مبينات.... الآية" لقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون-فى هذه السورة-آيات واضحة وأحكاما صريحة ولقد سبقكم أمم سارت فى غير هذا الطريق-كما أشار القرآن والحديث فى غير موضع-فكانت النتيجة هلاك فى الدنيا قبل الآخرة وإن التاريخ ليعظ المسلمين المتقين ويحذرهم من الفساد الأخلاقى والانحلال والفجور، فقد أودت هذه الأمور بأمم كانت ذات حضارة ومدنية من حضارتها إلى زوال ومدنيتها إلى انهيار، وفى التاريخ القديم والحديث شواهد كثيرة على ذلك فأين اليونان والرومان والفرس الآن؟ لقد زالت بسبب انهيار النظام الاخلاقى وانتشار الخنا والفجور، وإن حضارة الغرب لتسلك نفس الطريق برغم ادعاء الموضوعية والنزاهة.

أحكـــام التجـــويد :

إخفـاء النـون قبـل الكـاف فـى "وأنكحـوا" وفـى "منكـم"-المـد المتصـل فى"إمائكم"-الإدغام الناقص فـى"إن يكونـوا"-المـد المتصـل فـى"فقـراء"-إخفـاء النون قبل الفاء فى" من فضلة" -إشباع الهاء فـى"فضلـه"-إظهـار التنويـن قبـل العين فى" واسع عليم" اية ٣٢- قلقلة الباء الساكنة فـى"يبتغـون"-ادغـام النـون فى الميم فى"من ما"-اظهار النون قبل العين فى"ان علمتم"-إدغام التنويـن فـى الواو فى"خيرا وآتوهم"-إدغام الميم فى مثلها فى"وآتوهم من"-إدغام النون فـى الميم"من مال"-المد المنفصل فى"الذى آتاكم"-المد المتصل فى " البغاء" -قلقلـة الدال فى"أردن"-إدغام التنوين فى اللام فى"تحصنا لتبتغـوا"-إدغـام النـون فـى الياء فى" من يكرههن"-إدغام الهاء فى مثلها فى "يكرههن"-إخفاء النون إخفاء شفويا قبل الباء فى" من بعد-إدغام التنوين فى الراء فى "غفور رحيم.

قلقلة الدال فى"ولقد"-إخفاء النون قبل الزاى فـى"أنزلنـا"-المـد المنفصـل فى"أنزلنا إليكم"-إدغام التنوين فى الميم فى "آيات مبينـات"-إدغـام التنويـن فـى الواو فى"مبينات ومثلا"-إدغام التنوين فى الميم فى"مثلا من"-إخفاء النون قبـل القـاف فـى" مـن قبلكـم"-قلقلـة البـــاء فـــى"قبلكـم"-إدغـــام التنويـــن فـــى الـــلام فى"وموعظة للمتقين".

الله نور السموات والارض

الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصبـاح فى زجاجة، والزجاجة كأنها كوكـب درى، يوقـد مـن شـجرة مباركـة زيتونيـة

لاشرقية ولاغربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم"٣٥.

هذه الآيات موجهة إلى المنافقين الذين يعتقدون أنهم بنفاقهم ولجوئهم إلى العمل فى الظلام لن يكشفوا ولن يعرف نفاقهم، إن الله-سبحانه وتعالى- وهو نور الكون كله، أى هو الذى ينير الكون كله بنور الضياء والعلم لهو قادر على أن يكشف هؤلاء الناس الذين لايخدعون إلا أنفسهم، وكلمة النور هنا تستخدم بالمعنى الحسى والمعنوى، فهذه الشمس وهذا القمر وغيرهما ماينير الأرض مصدرها جميعا رب العزة-سبحانه وتعالى-فمن نور الله كان نورها، وأيضا فإن العلم الحقيقى-وليس التعالم- فى هذا الكون لايمكن أن يكون إلا بفضل الله وهدايته وبدون ذلك لايجد الإنسان غير الظلمة والضياع.

وقد شبه نور الله بالمشكاة، وهى الكوة فى الجدار يوضع فيها المصباح فتكون وسيلة لحصر نور المصباح وتركيزه، وفى هذه المشكاة مصباح فى زجاجة-فانوس- هذا الفانوس كأنه كوكب مضىء وصاف لأن زيته من شجرة مباركة هى زيتونة تختلف عن أشجار الزيتون الأخرى لأنها تتمتع بالشمس من جميع جهاتها، وفى جميع الأوقات، بعكس الشجرة التى تراها الشمس فى بعض أوقات النهار، فإن زيتها فى هذه الحالة أقل جودة، أما الزيتونة المذكورة هنا فإن زينها يضىء بنفسه، ولو لم تسمه نار، وذلك لشدة لمعانه، ومن ثم فقد تجمعت للمصباح هنا كل أساليب قوة النور ولمعانه وتفوقه فهو إذا نور على نور.

ونرى هنا أن نور الله شبه بتشبيه حسى، ولاشك أن المشبه هنا أقوى من المشبه به، فإن نور الله مهما وصف فلن تصل إلى كماله، ولذا فإن أبلغ وصف له أنه نور الكون أى منيره، فكل مافى الكون يستمد نوره من نور الله، وقد لجأت اللغة إلى هذه الصورة لأنه ليس لدى أبناء العربية حين نزول القرآن أقوى من هذا المصباح الذى تحدثت عنه الآيات.

وإذا كانت هذه الآيات تتكلم عن رب العزة فإنها تتحدث إلى البشر فلابد أن يكون الحديث بلغة البشر انفسهم حتى يمكن لهم فهم كلام ربهم ولهذا السبب تحدث القرآن عن الله بطريقة مفهومة للناس فوصف الله بالسمع والبصر وبأن له يدا أو بأنه يجلس على العرش..... إلخ لأنه ليس هناك وسيلة للتعبير إلا اللغة البشرية وبهذه الطريقة، والله سبحانه وتعالى يهدى لنوره من يشاء، فمن عميت بصيرته فإنه لن ينتفع بالنور الالهى، مثل الضرير سواء عليه الليل أو النهار، لايفيده الضياء ولاتضره الظلمة مهما اشتدت.

والله بهذا كله يضرب للناس الأمثال لتقريب المعنى إلى أفهامهم وفى ذلك إشارة إلى أن نور الله لايمكن أن يقارن بنور آخر مهما كان فإن المسألة لاتتعدى ضرب الأمثال للناس حتى يفهموا فإن نور الله أقوى من أى نور، لأن الأخير ماهو إلا قبس من نور رب العزة.

والله سبحانة وتعالى عليم بكل شيء، عليم بمن يطلب نوره وهدايته، ويجد في طلبها، ولذا فإنه ييسرها له، أما المنافقون الذين ينغمسون في الفجور واللذات فهذه الهداية لاتفيدهم مثل الأعمى الذى يستوى عنده الضياء والظلمة.

من صفات المؤمنين

"في بيوت أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، وليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب" ٣٦،٣٧.

المقصود بالبيوت هنا المساجد لابيوت المؤمنين والمراد برفعها بناؤها وعمارتها وتعظيمها وتطهيرها من الدنس واللغو، وذكر اسم الله فيها.

وتذكر الآيات هنا صفات المؤمنين الحقيقيين حتى يتميزوا عن المنافقين الذين قد يندسون بين المسلمين يتكلمون كلامنا ويتزيون بزينا، ولكنهم يضمرون للإسلام كل مشاعر الغدر ولايتركون فرصة للكيد له إلا كانوا الفرسان وحملة الألوية، وصفات المؤمنين هي:

١- رجال، أى رجال بمعنى الكلمة، فهم يتمتعون بكل صفات الرجولة الحقة.
٢- لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله فهم يسبحون ليل نهار، وفي جميع أوقاتهم.
٣- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

٤- يخافون يوم الحساب، يوم تتقلب فيه قلوب الناس وأبصارهم من شدة الخوف والفزع.

ولأنهم يخافون يوم الحساب فإن الله يجزيهم عن أفعالهم ويتجاوز عن سيئاتهم، بل هو يزيدهم من فضله فى الدنيا بالرزق الطيب الكريم، فالله يرزق من يشاء بغير حساب كما يزيدهم من فضله فى الآخرة فيتجاوز عن السيئات ويقبل الحسنات، بل يزيد فى ثوابها . وعبارة(والله يرزق من يشاء بغير حساب) تشير إلى أن الرزق يقدره رب العزة، فهو يعطى من يريد، فإذا كان هؤلاء الرجال لا تلهيهم أمور البيع والشراء وجلب الرزق فإن الله يزيدهم من فضله فإنه يرزق من يشاء هو، ما يشاء العبد، كما أن رزقه واسع كريم، ولذا فهو يرزق بغير حساب.

أحكام التجويد فى الآيات ٣٥-٣٨ :

إدغام التنوين في السين فى"نور السموات"-إخفاء التنوين قبل الفاء "كمشكاة فيها"-إخفاء التنوين قبل الدال فى"كوكب درى" -إخفاء النون قبل الشين فى"من شجرة" -إدغام التنوين فى الميم فى"شجرة مباركة"- إخفاء التنوين قبل الزاى فى"مباركة زيتونة"- إدغام التنوين فى اللام فى"زيتونه لا" -إدغام التنوين فى الواو فى" شرقية ولا"- وفى الياء فى"غربية يكاد"- المد المتصل "يضىء"- إدغام النون فى مثلها فى"نار نور"- إظهار التنوين قبل العين فى"نور على"- إدغام التنوين فى الياء إدغاما ناقصا فى "نور يهدى" - الإدغام الناقص فى"من يشاء" المد المتصل فى"يشاء" إظهار التنوين قبل العين

فى"شىء عليم" -إظهار التنوين قبل الهمزة فى" بيوت أذن" إخفاء النون قبل التاء فى "أن ترفع"- إشباع ضمة الهاء فى اسمه وفى له إدغام التنوين فى اللام فى"رجال لا"- إدغام التنوين فى الواو فى"تجارة ولا"- إظهار التنوين قبل العين فى"بيع عن" -إخفاء النون قبل الذال فى"عن ذكر"- المد المتصل فى"وإيتاء" إخفاء التنوين قبل التاء فى"يوما تتقلب" قلقلة الباء فى"والأبصار" - والجيم فى "ليجزيهم" -إخفاء النون قبل الفاء فى"من فضله" -إشباع كسرة الهاء فى"فضله" -إدغام التنوين فى الياء فى"من يشاء" المد المتصل فى"يشاء" ٣٦-٣٨.

أعمـــــال الكفـــــار

"والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب، أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور"٣٩-٤٠

تحدثت الآيات السابقة عن صفات المؤمنين المخلصين، وهذه الآيات التى تشير إلى الكفار والمنافقين فنضرب مثالين لهؤلاء الضالين:-

١- إن هؤلاء الكفار والمنافقين الذين يأتون بأعمال صالحة فى الظاهر لن تنفعهم، فهذه الأعمال كالسراب، وهم-أى الكفار والمنافقون-يقطعون مسافة الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة معتمدين على أعمالهم الكاذبة فكما

أن السراب ليس وراءه ماء، وحين يسرع الرائى إليه لايجد شيئا، فكذلك هذه الأعمال التى يعتمدون عليها لن تنقذهم من عذاب الله، فسوف يجدون الله ليحاسبهم على كفرهم ونفاقهم، وهو سريع الحساب.

٢- وهذا النوع من الناس يقضون حياتهم من بدئها إلى نهايتها فى جهل كامل وظلام دامس، ولو كانوا من كبار الدارسيين والعارفين فى العلوم والفنون فهم كمن يعيش فى ظلام دامس إذا أخرج يده لم يكد يراها من شدة الظلمة، وهؤلاء الناس يحسبون أن العلم كل العلم والمهارة كل المهارة فى اختراع الأسلحة الفتاكة والصعود إلى الكواكب الأخرى والتقدم فى الاقتصاد والتجارة، ودراسة القانون والفلسفة، دون الالتفات إلى قيم الحق والعدل.

إن العلم الحقيقى ليس شيئا مماسبق، بل هو شىء آخر، وليس للكفار أدنى معرفة أو إلمام به، بل إن رجلا من البدو أميا لم يقرأ كتابا طوال حياته ولم يخط حرفا لهو أعلم من هؤلاء جميعا، فمن لم يجعل الله له نورا فماله من نور، فإن الحقائق لاتظهر إلا بنور الله، وليس وراء نور الله إلا الظلمة الدامسة، لأن هدى الله هو الهدى، ونورالله هو النور.

من دلائل القدرة الإلهية

"ألم تر أن الله يسبح له من فى السماوات والأرض، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه، والله عليم بما يفعلون، ولله ملك السماوات والأرض، وإلى الله المصير، ألم تر أن الله يزجى سحابا، ثم يؤلف بينه، ثم

يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنابرقه بذهب بالأبصار، ويقلب الله الليل والنهار، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار، والله خلق كل دآبة من ماء، فمنهم من يمشى على بطنه، ومنهم من يمشى على رجلين، ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء، إن الله على كل شىء قدير، لقد أنزلنا آيات مبينات، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم" ٤١-٤٦.

إن الله تعالى يشير بهذه الآيات إلى بعض آيات قدرته، والتى يراها من استضاء بنور الله، أما من عاش بعيدا عن هذا النور فلن يجد من ذلك شيئا، ولو كان عند الناس من كبار المفكرين أو الفلاسفة لأنه لم يدرك شيئا من نور الله سبحانه وتعالى، أما هذه الآيات الدالة على القدرة الإلهية فهى:

١- إن الله يسبح له مافى الكون، كل قد علم صلاته وتسبيحه، والأول للبشر والثانى لغيره من الطير والحيوان، والله عليم بما يفعلون جميعا.

٢- إن ملك الكون كله والسماوات والأرضين جميعا كل ذلك لله وحده الذى إليه المرجع والمصير.

٣- إن الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب، ثم يؤلف ببنه ثم يجعله متراكما بعضه على بعض فيخرج المطر من خلال هذا السحاب.

"وينزل من السماء من جبال فيها مـن بـرد "المقصـود بالجبـال هنـا هـى جبال البرد، وهو كناية عن السحاب فيصيب بهذا البرد من يشـاء مـن النـاس، اى ينزله مطر وبردا بفتح الراء على من يشاء.

"يكاد سنابرقة يذهب بالأبصار" يكاد ضـوء برقـه يخطـف الأبصـار، إذا تابعته لشدته" وفيما سبق دليل لأولى الأبصار على عظمة الله تعالى وقدرته.

٤- إن الله سبحانه وتعالى-خلق الدواب كلها-أى المخلوقات الحية كلها من إنسان وحيوان-خلق ذلك كله من ماء، فمنهم من يمشى على بطنه مثـل الحيات والثعـابين، ومنهم مـن يمشـى علـى رجليـن كالإنسـان والطـير، ومنهم من يمشى على أربع مثل كثير من المخلوقات، يخلق الله مايشـاء بقدرته، فهو على كل شىء، قدير.

وبعد هذا كلـه يقـرر اللـه تعـالى أنـه أنـزل فـى هـذا القـرآن مـن الحكـم والأمثال البينة كثيرا جدا، وهو يرشد إلى ذلـك أولـى الألبـاب والبصـائر ولـذا قال:والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

احكام التجويد فى الآيات

٣٩ - ٤٦

الإخفاء الشفوى قبل الباء فى"كسراب بقيعـة" -المـد المتصـل فـى "مـاء" وفى "جاءه"- قلقلة الدال فى"لم يجده"-إخفاء النون قبل الدال فى"عنـده"-إشـباع الضمة فى"عنده" -وفى حسابه" إخفاء التنويـن قبـل الفـاء فـى "كظلمـات فـى"- إدغـام التنويـن فـى الـلام فـى"بحـر لجـى"- إدغـام التنويـن فـى اليـاء فـى

"لجى يغشاه"- إدغام التنوين فى الميم فى(موج من) -إخفاء التنوين قبل الفاء فى"من فوقه"- إشباع الكسرة فى(فوقه) -إخفاء التنوين قبل الباء فى(ظلمات بعضها)- إشباع الهاء فى "يده" قلقلة الدال وفى(لم يكد)- أيضا إدغام النون فى اللام فى" -ومن لم" قلقلة الجيم فى"لم يجعل"- إشباع الضمة فى(له)- إخفاء التنوين قبل الفاء فى(نورا فما) -إدغام النون فى مثلها فى" من نور ٣٩-٤٠.

إشباع الضمة فى(له) إخفاء النون قبل الفاء فى(من فى)- إخفاء التنوين قبل الكاف فى"صآفات كل-" إدغام التنوين قبل القاف فى"كل قد"- قلقلة الدال فى"قد" إشباع ضمة الهاء فى "صلاته" وتسبيحه"-إخفاء التنوين قبل الباء فى"عليم بما" -إخفاء التنوين قبل الثاء فى"سحابا ثم"- إشباع الهاء فى "بينه يجعله"- قلقلة الجيم فى"يجعله" --إدغام التنوين قبل الفاء فى" ركاما فترى" - قلقلة الدال فى"الودق" -إشباع الكسرة فى"من خلا له" وإظهار النون قبل الخاء- المد المتصل فى"السماء"- إخفاء التنوين قبل الفاء فى"برد فيصيب" - إشباع الكسرة فى "به" -إدغام النون فى الياء فى"من يشاء" -المد المتصل فى"يشاء" إشباع الضمة فى"يصرفه"- إشباع الكسرة فى "برقه"- قلقلة الباء فى "الأبصارعبرة"-المد اللازم فى"دآبة"- إدغام التنوين فى الميم فى"دآبة من"- والنون فى الميم فى"من ماء"- المد المتصل فى"ماء" -إدغام النون فى الياء فى"من يمشى" -قلقلة الطاء وإشباع الكسرة فى"بطنه"- قلقة الجيم فى"رجلين" -المد المتصل فى يشاء" -إخفاء التنوين قبل القاف فى"شىء قدير" وقبل النون فى الياء فى(من يشاء) -إدغام التنوين فى الميم فى"صراط مستقيم" ٤١-٤٦.

سمـــات المنــــافقين

"ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنـا، ثـم يتولـى فريـق منهـم مـن بعـد ذلك، وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهـم إذا فريـق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذهنين، أفـي قلوبهـم مـرض أم ارتابوا يخافون أن يحيف الله عليم ورسوله، بل أولئك هم الظالمون، إنما كـان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولـو سمعنا وأطعنـا وأولئك هم الفائزون، وأقسـموا باللـه جهد أيمـانهم، لئـن امرتهـم ليخرجـن قـل لاتقسموا طاعة معروفة، إن الله خبير بما تفعلـون، قـل أطيعـوا اللـه وأطيعـوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ماحمل وعليكم ماحمتلم وإن تطيعوه تهتدوا، ومـا على الرسول إلا البلاغ المبين" ٤٧-٥٤.

هذه الآيات تعرض صورة للمنافقين الذين يقولون بلسانهم فقط آمنا بالله وبالرسول وأطعناهما، ولكن هـؤلاء النـاس عنـد الطاعـة الحقيقيـة وعنـد تنفيذ ماأمربه الله ترى فريقا منهم بتولى عن ذلـك، وهـم مهمـا ادعـوا مـن الإيمـان والطاعة ليسوا بمؤمنين لأن الإيمان ليس كلمة او كلمـات تقـال فقـط، بـل هـو كمـا ذكـر الإمـام ابـن القيـم قـول باللسـان واعتقـاد بالجنـان وعمــل بالأركــان والمنافقون ليس لديهم إلا القول فقط، وهو وحده لايجدى ولايفيد، ومن سـمات هؤلاء المنافقين إضافة إلى توليهم عـن الطاعـة انهـم إذا دعـوا إلـى حكـم مـن أحكام الله أعرض فريق منهم عن حكم ربهم.

والإعراض له صور كثيرة، فقد يعرض عن تنفيذه، كالمرأة التى تعرض عن ستر عورتها أو الرجل الذى يرفض الاستجابة لأمر الله بعدم الاختلاط بالنساء، وقد يعرض بتسفيه أحكام الله أو وصفها بأنها ليست مناسبة أو لائقة، بل ربما يتطاول بعض المنافقين إلى وصف بعض الحدود بالقسوة أو الهمجية، كل هذه صور للأعراض عن حكم الله.

وهناك فرق بين الإعراض والمعصية فإن الرجل مثلا إذا صافح بعض النساء الأجنبيات عنه-لسبب أو لآخر-ثم ندم على ذلك وشعر أنه ارتكب ذنبا عظيما فإنه فى هذه الحالة يختلف عن رجل آخر يعتبر عدم مصافحة النساء نوعا من التزمت وعدم اللياقة وسوء الأدب، هذا الأخير لاشك أنه منافق، منافق.

ولكن هذا الفريق المعرض إن وجد أن حكم الله ورسوله سيؤدى به إلى نيل منفعة أو الوصول إلى حق من حقوقه فإنك تجده فى هذه الحالة يذعن ويخضع للحكم، وذلك مثل الأب الذى يتعامل بالربا، فإذا قلت له إن هذا حرام قال لك: حرام حرام، لكن نفس هذا الأب إذا وجد ابنا من أبنائه يعصاه أذعن لأمر الله وحكمه فى طاعة الآباء وعدم حقوق الأبناء لهم.

مع أن تحريم الربا والعقوق كليهما من عند الله والقرآن يعلل هذا الظاهرة بأن مثل هذا الرجل إما فى قلبه مرض، فهو منافق ليس فى جنانه وإيمان البتة، أو أنه يشك فى نبوة الرسول أو فى أن القرآن من عند الله، أو أنه يخاف أن يظلمه الله أو رسوله.

فإن من يعرض عن حكم الله لن يكون إعراضه إلا لسبب من الثلاثة السابقة، أما من يصف أحكام الله بالظلم أوالقسوة أو الهجمية فلاشك فى نفاقه كما أسلفنا.

هذه صورة المنافقين أما المؤمنون فهم على العكس من ذلك إن دعوا إلى حكم من أحكام ربهم قالوا سمعنا وأطعنا على عكس من قالوا: سمعنا وعصينا، أى عصوا بأفعالهم، وإن قالوا سمعنا بألسنتهم.

والمؤمنون هم المفلحون الفائزون، أما المنافقون فهم الظالمون أما سمات الفائزين فهى طاعة الله والرسول وخشية الله وتقواه، أما المنافقون فهم بالطبع لايطيعون ولايخشون ولايتقون برغم أنهم اقسموا على الطاعة لأن طاعتهم معروفة، هى طاعة لسان فقط، وهى لا قيمة لها، والله خبير بعملهم عليم به.

وماذا يفعل الرسول (ﷺ) لهؤلاء المنافقين إلا أن يرشدهم إلى طاعة الله ورسوله فإن أعرضوا فليس على الرسول إلا إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة وعليهم قبول ذلك والقيام بمقتضاه.

احكـــــام التجـــويد

إدغام التنوين فى"فريق منهم"- إخفاء النون قبل الباء فى"من بعد"- المد المتصل فى"أولئك" المدالمنفصل فى"دعوا إلى" إدغام التنوين فى"فريق منهم" - إدغام الميم فى مثلها فى"منهم معرضين".الإدغام الناقص فى"وإن يكن" -إدغام

النون فى اللام فى"يكن لهم" -المد الجائز فى"يأتوا اليه" -إدغام الميم فى مثلها "فى قلوبهم مرض" -الإدغام الناقص فى"أن يحيف" -إشباع الكسرة فى"ورسوله" -إدغام النون فى الواو فى" أن يقولوا" وفى"ومن يطع" المد المتصل فى "الفائزون - قلقلة القاف فى "وأقسموا - إظهار النون قبل الهمزة فى "لئن أمرتهم" -قلقلة القاف فى"تُقْسموا" -إدغام التنوين فى الميم فى"طاعة معروفة"-إظهار التنوين قبل الهمزة فى"معروفة إن" إخفاء التنوين قبل الباء فى"خبير بما" -إخفاء قبل النون التاء فى"وإن تولوا" إدغام الميم فى مثلها فى"عليكم ما" إخفاء النون قبل التاء" وإن تطيعوه".

الاستخلاف

"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهن دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدوننى لايشركون بى شيئا، ومن كفر فأولئك هم الفاسقون، وأقيموا الصلاة والزكاة، وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون، لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض، ومأواهم النار، ولبئس المصير"٥٥-٥٧.

هذا وعد من الله-سبحانه وتعالى-لرسوله (ﷺ) بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أى أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وحكما فيهم، وقد فعله-تبارك وتعالى-فله الحمد والمنة-فلم يمت الرسول حتى فتح الله عليه مكة-وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هَجَر

ومن بعض أطراف الشام، وهاداه عرقل ملك الروم والمقوقس عظيم مصر وملوك غسان والنجاشي ملك الحبشة، ولما مات المصطفى وقام من بعده الخلفاء الراشدون الذين اتسعت فى عهدهم دولة الإسلام حتى أضحت أعظم الدول فى التاريخ، وجبى الخراج إلى عاصمة الدولة ودانت لها الملوك والجبابرة.

كل ذلك مصداقا لوعد الله ورسوله، فقد ظل المسلمون بمكة أكثر من عشر سنين خائفين لايؤمرون بالقتال فلما هاجروا إلى المدينة أمروا بالقتال، ولكنهم كانوا خائفين يمسون فى السلاح وفيه يصبحون فصبروا على ذلك ماشاء الله، ثم إن رجلا من الصحابة قال:

يارسول الله ابد الدهر نظل خائفين هكذا؟ أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟

فقال الرسول (ﷺ):

"لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليست فيه حديدة، وأنزل الله هذه الآية، فأظهر نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح.

ولكن الاستخلاف والأمن مشروط بالإيمان والعمل الصالح، وليس مشروطا بجنس من الأجناس أو أمة من الأمم، فقد سبق وعد الله تعالى لموسى عايه السلام. وقومه"عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى

الأرض"١٢٩/الأعراف وقال أيضا"ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض فتجعلهم ونجعلهم الوارثين" ٥/ القصص.

ووجه القرآن الكريم تحذيرا إلى المسلمين عامة والعرب خاصة بأنهم إن اعرضوا استبدلهم رب العزة بغيرهم، وقد ورد ذلك فى آيات كثيرة منها" وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم"٣٨/محمد قال الصحابة يارسول الله"من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لايكونوا أمثالنا؟ فضرب على كتف سلمان الفارسى(رضي الله عنه) ثم قال" هذا قومه، ولو كان الذين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس" صدق نبى الله الكريم.

ولقد وصل المسلمون إلى قمة تمكينهم عند فتح القسطنطينية عاصمة الكفر حيث حولوها إلى عاصمة للإسلام، لقد استمرت الجهود الإسلامية لفتح هذه المدينة ثمانية قرون ثم حطم عنادها البطل محمد الفاتح الذى دخلها بجند صائمين.

ولم تنزع راية التمكين من المسلمين إلا بسقوط دولة الخلافة، أو الدولة العلية على يد الخونة عملاء اليهود وفى مقدمتهم هذا الرجل الذى طعن المسلمين طعنات قاتلة كان من أهمها إلغاء الخلافة ونشر العلمانية، وذلك سنة ١٩٢٤م هذا الرجل هو مصطفى كمال صنيعة الاستعمار ورأس الحرب ضد الإسلام، وأكبر أعدائه فى النصف الأول من القرن العشرين.

ولقد عانى المسلمون معاناة شديدة-ولايزالون-من جراء خيانة هذا الرجل وأتباعه، ولكن شمس الخلافة إذا غابت عن بلد فإن الغياب لن يدوم،

ولسوف تشرق فى بلاد أخرى فلا يـزال وعد اللـه خـالداً وإن تتولـوا يسـتبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثـالكم فـإن سقطت الرايـة مـن يـد الأتـراك فسـوف يحملهـا آخـرون، وسـف تشـرق شـمس الخلافــة مـرة أخـرى، فقـد ظهـرت إرهاصاتها وبشائرها، قبل نهاية القرن الهجرى الماضى.

وبعد أن يمكن المسلمون ماذا يفعلون؟ هـل يبطشـون بالعبـاد ويبتلعـون ثرواتهـم ويمصـون دمـاءهم؟ إن شـيئا مـن ذلـك لايحـدث بـل سـيعبدون اللـه ولايشركون به شيئا ومن كفر بعد ذلك فهو خارج عن طاعة الله.

ثـم يـأمر اللـه سبحانه وتعـالى المسـلمين بإقامـة الصـلاة وإيتـاء الزكـاة وبطاعـة الرسـول (ﷺ) حتـى يرحمهـم اللـه، ثـم يوجـه القـرآن كلامـه إلـى الرسول ليقول له: لاتظن يامحمد أن الكفار الذيـن خـالفوك وكذبـوك يعجـزون الله، بل هو قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب يـوم القيامـة فمـأواهم جهنم وبئس المصير والمآل.

ومـا أحـوج المسـلمين الآن إلـى تدبـر هـذه الآيـة، فالكفـار مهمـا علـت سطوتهم ومهما كان تجبرهم، فـإن اللـه قـادر عليهـم ولـن يعجـزوه، ولاينبغـى للمسلم بأن يقع فى اليأس من هذه القوى الكـافرة التـى تطـارد القـابضين علـى دينهم فى كل مكان، وليبق المسلمون صامدين صابرين حتى يأتيهم نصر الله، وهو قريب إن شاء الله.

احكام التجويد فى الآيات

٥٥-٥٧

إخفاء النون قبل الكاف فى"منكم" وقبل القاف فى"من قبلهم" وقبل الباء فى "من بعد" الإدغام الناقص فى"أمنا يعبدوننى" إخفاء النون قبل الكاف فى"ومن كفر" المد المتصل فى"أولئك"

عودة إلى الحجاب

١- استئذان الأطفال والخدم "ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن طوافون عليكم، بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيات، والله عليم حكيم، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم" ٥٨-٥٩.

إن الأطفال وخدم البيت من الأرقاء يطوفون على أهل البيت ويدخلون عليهم فى كل وقت دون استئذان، ولكن هناك ثلاثة أوقات لابد فيهن من الاستئذان وهى وقت القيلولة وبعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر فهذه الأوقات الثلاثة هى أوقات الراحة والنوم، وهنا لايصح للأطفال أو الخدم أن يدخلوا بدون استئذان.

وهذا أمر بين واضح لاغموض فيه، وإذا بلغ الأطفال الحلم فليستأذنوا فى جميع الأحوال-كما فصلنا قبل ذلك-والله عليم بما يصلح الناس، حكيم ينزل من الأحكام مايصلح أمور الناس وحياتهم.

٢- القواعد من النساء:" والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابتهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن، والله سميع عليم" ٦٠

ليس على النساء اللاتى انقطع عنهن المحيض والولادة أن يتخففن من ثيابهن أوجلابيبهن فلا يدنينها، ولكن عليهن البعد عن التبرج، وإن كان من الخير لهن الالتزام بجلابيبهن وأن يدنينها ولايخلعن الخمر، وبخاصة فى هذه الأيام.

الأكل من بيوت الآخرين

(ليس على الأعمى حرج ولاعلى الأعرج حرج ولاعلى المريض حرج ولاعلى أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) ٦١.

تعد رخص الله للمسلمين مايلى:

١- أذن الله تعالى للمسلمين أن يأكلوا مع كل من الأعمى والأعرج والمريض فقد كانوا يتحرجون من الأكل مع الأول لأنه لايرى الطعام ومافيه من الطيبات فربما سبقه غيره إلى ذلك ومع الثانى لأنه لايتمكن من الجلوس فيسبقه جليسه، أما المريض فلأنه لايستوفى من الطعام كغيره فكرهوا أن يأكلوا مع هؤلاء الناس لئلا يظلموهم، فأنزل الله هذه الآيه رخصة فى ذلك.

٢- ولاحرج على المسلمين أن يأكلوا من بيوت الأقارب المذكورين فى الآيه وهم(الأباء -الأمهات-الإخوة-الأخوات-الأعمام-العمات-الأخوال-الخالات) كما أبيح الأكل من بيوت الأصدقاء المقربين، لأنه لما نزل (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ١٨٨البقرة، هنا قال المسلمون إن الله نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أقربائه أوالأصدقاء

مثلهم فى ذلك مثل غيرهم فأباح الله للمسلمين الأكل من بيوت هؤلاء رفعا للحرج عنهم، وتوثيقا لصلات القربى والصداقة بين جميع المسلمين ولم تذكر الآية من الأقارب الأبناء لأنه لاحاجة إلى ذكرهم فبيت الابن بمثابة بيت الأب نفسه[1].

٣- وكان بعض العرب يكرهون الأكل مجتمعين وعلى العكس من ذلك كان بعض أحياء العرب يتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره وكانت الأنصار إذا نزل بواحد منهم ضيف لم يأكل إلا وضيفه معه، فرخص الله لهم أن يأكلوا كيف شاءوا مجتمعين أومتفرقين.

٤- وكان المسلمون يذهبون للحرب مع رسول (ﷺ) فيتركون مفاتيحهم الى ضمنائهم قائلين(قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه) وبرغم ذلك كان الضمناء يقولون (إنه لايحل لنا أن نأكل وإنما نحن أمناء) فأباح الله لهم أن يأكلوا دون حرج.(فإذا دخلتم بيوتا فسلموا علىأنفسكم ......) قال قتادة رضى الله عنه (إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فقد روى أن الملائكة ترد السلام (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لما ذكر الله ما فى هذه السورة الكريمة من

---

(١) قال الإمام جعفر الصادق لأحد أضيافه على الغداء(كل، أما علمت أنه تعرف مودة الرجل لأخيه بأكل طعامه) وهو القائل أيضا(أشدهم حبا لنا أكثرهم أكلا عندنا).

الأحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة، وقد نبه الله تعالى عباده إلى أنه يبين لهم الآيات بيانا ليتدبروها ويتعقلوها لعلهم يعقلون.

أحكام التجويد فى الآيات

٥٨-٦١

المد المتصل فى"يأيها" -إخفاء النون قبل الكاف فى"ليستأذنكم"- قلقلة الباء فى"يبلغوا"-إخفاء النون قبل الكاف فى "منكم" وقبل القاف فى"من قبل"- إدغام الميم فى مثلها فى "ثيابكم من" -إخفاء النون قبل الباء فى" من بعد" المد المتصل فى"العشاء"- إدغام التنوين فى اللام فى "عورات لكم" إخفاء التنوين قبل الباء فى"جناح بعدهن" إخفاء الميم قبل الباء فى"عليكم بعضكم" إظهار التنوين قبل الحاء فى" عليم حكيم" قلقلة الطاء فى"الأطفال" إخفاء النون قبل الكاف فى" منكم" والنون قبل القاف فى"من قبلهم" قلقة الباء فى" قبلهم" إشباع الكسرة فى "آياتة" ٥٨،٥٩.

المد المتصل فى"النساء" إخفاء التنوين قبل الفاء فى "نكاحا فليس" إظهار التنوين قبل الهمزة فى"جناح أن" إخفاء التنوين قبل الباء فى"متبرجات بزينة" إدغام التنوين فى الواو فى"بزينة وأن" وفى الياء فى" وأن يستعففن" إدغام التنوين فى اللام فى(خير لهن) إظهار التنوين قبل العين فى"سميع عليم" الإدغام الناقص قبل الفاء فى"أنفسكم" وقبل التاء فى" أن تأكلوا" وقبل الباء فى"من بيوتكم" المد المتصل فى"آبائكم" إدغام الميم فى مثلها فى" ملكتم مفاتحه"

إظهار التنوين قبل الهمزة فـى"جنـاح" أن "وفـى" جميعـا أو"إخفـاء التنويـن قبـل الفاء فى"أشتاتا فإذا" إخفاء الميم قبل الباء فى"دخلتـم بيوتـا" إخفـاء التنويـن قبـل الفاء فى" بيوتا فسلموا" إخفاء النون قبل الفـاء فـى"أنفسـكم" إدغـام التنويـن فـى الميم فى" تحية من" إخفاء الدال فى"عند" والتنوين قبل الطاء فى "مباركة طيبة" وقبل الكاف فى "طيبة كذلك" "٦٠،٦١".

عودة الى صفات المؤمنين

(إنما المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جـامع لـم يذهبـوا حتـى يسـتأذنوه، إن الذيـن يسـتأذنونك أولئـك الذيـن يؤمنـون باللـه ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واسـتغفر لهـم اللـه، إن الله غفور رحيم، لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعـاء بعضكـم بعضـا، قـد يعلـم اللـه الذيـن يتسـللون منكـم لـو اذا، فليحـذر الذيـن يخـالفون عـن أمـره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عـذاب أليم، ألا إن للـه مـافى السموات والأرض قـد يعلم مـاأنتم عليه، ويوم يرجعون إليه فينبئهم بماعملوا، والله بكـل شـىء عليـم) ٦٢-٦٤.

من صفات المؤمنين ومن أهم اسس النظام الاجتمـاعى فـى الإسـلام أن المسلمين إذا اجتمعوا لأمر من أمورهم-سلما أوحربا-فلاحق لأحد منهـم فـى الانصراف بدون إذن من أميرهم، كما لايجـوز الاسـتئذان إلاعنـد الضـرورة، وللأمير أن يأذن أولا يأذن، فإن رأى أن المصلحة العامـة أهـم مـن المصلحـة

الفردية الخاصة فمن حقة أن لايأذن، وليس لكم أن تسيئوا الظن فى هذه الحالة.

وقوله تعالى "واستغفرلهم" دلالة على أن الاستئذان إن لم يكن لضرورة فانه إثم عظيم، فإن الرسول(ﷺ) أومن يقوم مقامه يستغفر لمن يستأذنه من المسلمين.

(لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ......) لاتجعلوا أمر الرسول لكم ودعاءه اياكم كما يكون من بعضكم لبعض، وإذا دعاكم رسول الله ولم تجيبوا أو وجدتم فى أنفسكم حرجا فإن ذلك مايتهدد إيمانكم ويحيط أعمالكم، ويحذر الله من يخالفون أمره، كما يعلم الذين يتسللون منكم قليلا لاتذين بعضكم ببعض، وهذه صفة من صفات المنافقين، فهم إن دعاهم الرسول للاجتماع لأمريهم المسلمين تسللوا خارجين يستتر بعضهم ببعض، ومايتسللون إلا هربا مما قد يكلفون به من أعمال ومسئوليات.

إن المؤمنين الحقيقيين إذا دعوا إلى اجتماع يهم المسلمين لم يحاولوا الانصراف إلا لضرورة وإن فعلوا لم يذهبوا حتى يستأذنوا الرسول-أومن يقوم مقامه-أما المنافقون فهم الذين يتسللون لواذا.

وليحذر الذين يخالفون أمر الرسول أومن يقوم مقامه أن تصيبهم فتنة أوعذاب أليم فالله ملك السموات والأرض وهو يعلم حال الناس جميعا وماهم عليه، ويوم القيامة سيرجعون إلى الله فيخبرهم بما عملوا فى الدنيا من عظيم وحقير فهو بكل شىء عليم.

وقد فسر الإمام جعفر الصادق -رضي الله عنه- (ت١٤٨هـ) الفتنة هنا بالسلطان الجائر، وهو جزاء يتناسب مع مخالفة أمر الرسول، وهو سبيلة ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فإن لم يرض بمنهاج الرسول وقيادته لم يستحق إلا سلطانا جائرا وحاكما ظالما، وفى الحقيقة إن جور الحاكم وظلمه أس البلاء ومكمن الداء وطريق الفساد، وماتقاسى الشعوب ومايعانى الناس إلا من ظلم الحكام وغيرهم، وماتفرق الشعوب وتنشب الحروب فيما بينهم وانهيار الأخلاق والضعف السياسى والحربى وتحكم غير المسلمين فى مصائر ومقدرات الشعوب الإسلامية إلا نتيجة لوجود الظلمة المستكبرين العملاء من الحكام الذين يعيشون على مص دماء الشعوب ولهذا كله كان أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

اما الإمام ابن كثير فقد فسر الفتنة بأنها فتنة القلب كالكفر والنفاق، والعذاب الأليم بالحد أو التعزيز، أى بعقوبة الدنيا.

أحكام التجويد فى الآيات ١٢-١٤

إشباع الهاء فى"ورسوله" وفى "معه"- المد المنفصل فى"على أمر"- إخفاء التنوين قبل الجيم فى"أمر جامع "- إدغام التنوين فى اللام فى"جامع لم" -المد المتصل فى "أولئك"- إشباع الهاء فى"ورسوله" إدغام النون فى اللام فى "فأذن لمن" إخفاء النون فى الشين فى"لمن شئت"- إدغام التنوين فى الراء فى "عفور رحيم" -قلقلة الجيم فى"لاتجعلوا"- المد المتصل فى "دعاء-كدعاء"- إخفاء الميم قبل الباء "بعضكم بعضا" -إخفاء التنوين قبل القاف فى"بعضا قد"

قلقلة الدال فى "قد" إخفاء النون قبل القاف فى"منكم" إخفاء التنوين قبل الفاء فى"لواذا فليحذر" -إشباع الهاء والمد المنفصل فى "أمره أن" إظهار النون قبل الهمزة فى"فتنة أو عذاب اليم" المد المنفصل فى "إلا أن" -قلقلة الدال فى "قد" -المد المنفصل وإخفاء النون قبل التاء فى"ماأنتم" إخفاء الميم قبل الباء فى"فينبئهم بما" إظهار التنوين قبل العين فى"شىء عليم".

والحمد لله أولا وآخرا، تتم بنعمائه الصالحات الباقيات، والسلام عليكم ورحمة الله.

أحمد مصطفى أبو الخير

ههيا شرقية

المحتويـات

تمت بحمد الله

قـــــــراءة المســـــــتقبل

فى

أحاديث النبى الأكرم (ﷺ)

للدكتور

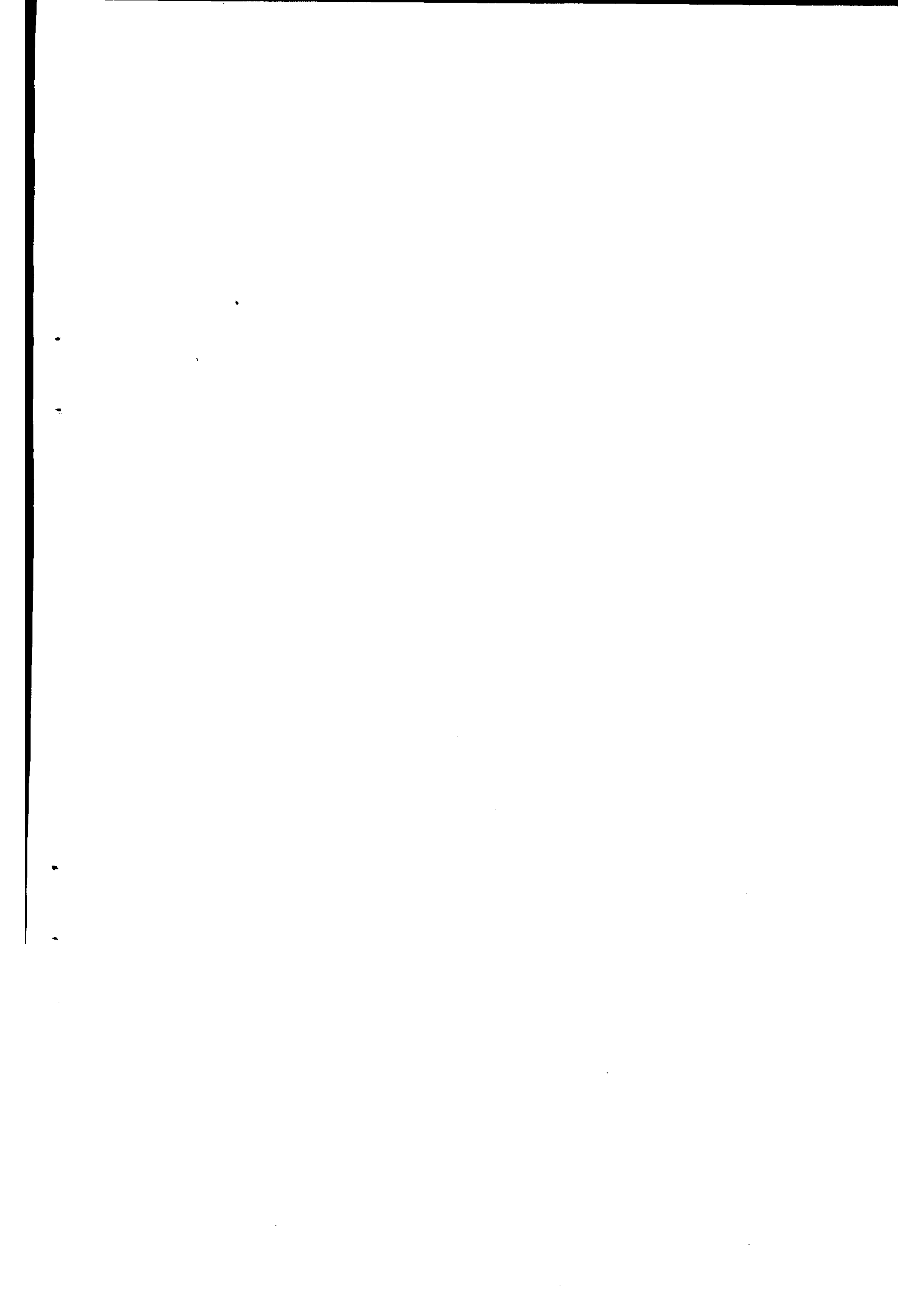
أحمد مصطفى أبو الخير

جامعة المنصورة

قـــــراءة المســـــتقبل

فى

أحاديث النبى الأكرم (ﷺ)



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

في العام الماضي (١٩٨٥م) ثار جدل كبير وبخاصة في البرنامج التلفزيوني ندورة للرأي حول كتاب على إمام المتقين للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي وكنت قرأت بعضا من هذا الكتاب عندما كان ينشر على حلقات أسبوعية في الأهرام فكان يشدني مالحق بآل بيت النبي (ﷺ) من ظلم تنوء به الجبال الرواسي، بدءاً من إمام المتقين على إلى ابنه الحسن الذي قتل غدرا وغيلة إلى الحسين[1] شهيد كربلاء إلى آخر هذا المسلسل الدامي الذي نال آل بيت نبينا الأكرم -صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين- ومن المؤسف أن كل هذا الظلم الفادح كان على أيدي قوم مسلمين، أو هم يدعون ذلك، يصلون على آل محمد في تشهدهم وصلاتهم ثم يقتلون آل محمد (ﷺ) بعد أن يفرغوا من صلاتهم.

ومن العجب العجاب أنه اذا قام أحد مدافعا عن آل بيت نبيه الأكرمين يدفع ظالميهم، انبرى بعض السادة الأماجد للدفاع عن الظلم وتبريره واتهام المدافع عن آل البيت بشتى التهم والنقائص من المغالاة والتطرف والزندقة وسب الصحابة -رضوان الله عليهم- مع أن أعداء آل البيت هم

---

(١) مازال عامة الشعب في مصر يكنون أشد الاحترام للإمام الحسين فهو عندهم (سيدنا الحسين) وإذا أرادوا التعبير عن ظلم عظيم وقع على أحد قالوا: (ظلموه ظلم الحسين).

الذين سبوا عليا وآله على المنابر جهاراً نهاراً عياناً بياناً أمام كل المسلمين، وإن التاريخ ليشهد أن الخليفة المرضى عنه عمر بن عبد العزيز هو الذى أبطل سب ابن عم النبى الأكرم (ﷺ) فمن سب الصحابة ياسادة ياكرام!! فمالكم كيف تحكمون!!.

نعود إلى الشرقاوى وكتابه فأقول: لقد حبانى الله بسعة من الوقت وفراغ من شواغل العمل فأقبلت على الكتاب فقرأته عن آخره، ونسيت ماوسم به الكتاب، وما اتهم[1] به، والتفت إلى تلك القصة العظيمة لجهاد آل البيت من أجل الحفاظ على الحق والعدل، وبقاء راية جدهم محمد بن عبد الله (ﷺ) مرفوعة منتصرة، بعد أن حاولت الجاهلية أن ترفع رأسها والعصبية القبيحة أن تشيح بوجهها، وبخاصة بعد وفاة شهيد المحراب سيدنا عمر بن الخطاب.

ولقد وقفت مليا أمام كثير مما جاء فى كتاب الشرقاوى، وبخاصة تلك السطور التى أنقلها هنا كما وردت فى الكتاب:

(لما سارت عائشة وطلحة والزبير يريدون[2] البصره بمن شايعهم[3]........حتى إذا انتهوا إلى ماء سمعوا نباح كلاب... فسالت عائشة

---

(١) لا أنكر أن الكتاب مط بعض الحوادث التاريخية، وأسهب فيها بشكل غير مقبول، كما حاول تفسير حوادث أخرى حسب فهم الكاتب ورؤيته وهو حقه، وإن اختلفنا معه.

(٢) كانوا ذاهبين الى حرب على (رضي الله عنه) فيما سمى فى التاريخ بموقعة الجمل.

(٣) ٢٥٢/١.

متوجسة (أى ماء هذا؟) قالوا: (ماء الحواب) فصرخت فى ذعر: (ما أرانى إلا راجعة!).

وبهت الجميع!

ثم سألوها: (ولم يا أم المؤمنين) قالت: (سمعت رسول الله يقول لنسائه: كأنى بإحداكن تنبحها كلاب الحوأب، ثم اتجه الىّ وقال: إياك ان تكونى أنت ياحميراء.

ولكن ابن اختها عبد الله بن الزبير حلف لها بالله: (لقد خلفت ماء الحوأب أول لليل) وجاء لها بشهود زور، خمسين من الأعراب، فحلفوا على ذلك.

ومضى الركب فى طريقه إلى البصرة[1].

ورحت أخرج ماقال النبى الأكرم (ﷺ) بشكل خاص، فوجدت فى مسند أحمد بن حنبل[2] مايلى:

لما أقبلت عائشة بلغت مياه بنى عامر ليلا، نبحت الكلاب قالت: أى ماء هذا؟ قالوا: (ماء الجوأب) قالت: ما أظننى إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله -عز وجل- ذات بينهم، قالت:

---

(١) ٢٥٣/١.
(٢) ٥٢/٦.

ان رسول (ﷺ) قال لها ذات يوم:

(كيف باحداكن تنبح عليها كلاب الجوأب).

واتضح أن هذا ليس بدعا فى أحاديث سيدى رسول الله (ﷺ) وكانى بهذا النبى الأمى قد تحمل هموم أمته حيا وميتا، وصور مستقبل هذه الأمة تصويرا واضحا جليا.

لم يترك لهذه الأمة نصائح عامة، أو عظات مبهمات، بل رسم الطريق الهادى لصحابته -رضوان الله تعالى عليهم- ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبخاصة إذا ادلهمت الخطوب وماجت الفتن، وأطلت الجاهلية بوجهها القبيح مما يجعلنا بحاجة ماسة إلى إعادة قراءة أحاديث سيدى رسول الله (ﷺ) نستجلى فيها مستقبل الأمة، كما صوره نبينا الأكرم -عليه الصلاة والسلام- ونهتدى بوصاياه الكريمات، نضىء بها طريق الأمة فى حاضرها ومستقبلها.

إننا نحرص كثيرا على اقتناء كتب الأحاديث والسيرة النبوية الشريفة ولكننا لانقلب فى تلك الكتب، ولانقرأ فيها إلا نادرا، وفى أبواب معينة لانتخطاها، وأحاديث مخصوصة خاصة لانعرف غيرها أو لانعرف أن الهادى البشير قال غيرها.

وكثير من السادة الخطباء والمتحدثين فى وسائل الإعلام -متعهم الله بالصحة والعافية- لايملون الاستشهاد بأحاديث المصطفى(ﷺ) ولا الحديث

عنها، ولكنهم -للأسف الشديد- لايخرجون عن دائرة ضيقة حبسوا أنفسهم فيها، احاديث قليلة، ربما تعد على أصابع اليد الواحدة، مثل: (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى[1]....) إلخ، أو: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه خمس مرات فى اليوم؟ أيبقى من درنه شىء؟ قالوا[2]: لا قال: (فكذلكم الصلاة) الحديث.

وبعض الناس مغرمون بالجدال والسفسطة فما أن يسمعوا بحديث لم يطرق آذانهم حتى يهرعوا إلى وصفه بالضعف أو الشذوذ أوغيرها من الأوصاف والنعوت، شاغلين أنفسهم بجدال عقيم، لاهين عن مقاصد سيدى رسول الله (ﷺ) وما أرى إلا أن الشيطان قد استحوذ عليهم استحواذا، وصرفهم إلى حيث يريد ويبتغى.

وحين عرضت بعض هذه الأفكار على بعض أساتذتى الأجلاء قال: (إن مثل هذه الأحاديث قطعية الثبوت، ظنية الدلالة) بمعنى أن المقصود منها غير محدد، أوغير معروف على وجه التحديد، بيد أننى أرى أن كثيرا من تلك الأحاديث -إن لم يكن كلها- صريح الدلالة واضح شديد الوضوح كالحديث الذى ذكرناه عن عائشة -رضى الله تعالى عنها وأرضاها- كما أن الأمور وقعت كما نص سيدى رسول الله، (ﷺ).

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه البخارى

وإذا كان فى دلالة بعض الأحاديث غموض أو إبهـام فـإن هذه مهمـة علماء الأمة وحصون الدين الذين ورثوا عن أنبيـاء اللـه مـا أنيط بهـم مـن مهمات وتبعات.

وبعد التحقيق والتدقيق فى نص الحديث والتاكد من صحة سنده ومـن دلالته على وجه يقينى أو راجح، على الأقل -وهو مـايقوم بـه علمـاء الأمـة- يأتى الشيء الأهم، وهو العمل على تنفيذ ما نبأ به سيد الخلق، محمـد (ﷺ) وتهيئة النفوس، والسعى بجد ويقين إلى إحـراز الأهـداف التـى بشـر بهـا، أو أخبر عنها.

لقد بشر النبى الأكرم (ﷺ) صحابته بفتح البلاد والأمصار، فهل بقـى المسلمون فى ديارهم لايبرحونها فى انتظـار تحقيـق مـاوعد بـه نبيهـم -عليـه الصلاة والسلام- أم انطلقت الجحافل إلى فارس والروم باذلة المهج والأرواح فى سبيل إنفاذ ماوعدوا بـه دون تـردد أو شـك؟؟ هـل بقـوا فـى مكـة والمدينـة والطائف يتحاورون ويتجادلون حول مقاصد النبى (ﷺ) من قول كذا او كذا، ودلالة هذا الحديث أو ذاك؟ فإذا سمعوا: (لتفتحن القسطنطينية....) على سـبيل المثال جعلوا يتناقشون ويتحاورون ما المقصود بالفتح، وما هـى أدواتـه وهـل الظروف والملابسات والقوى الكـبرى المهيمنـة تسمح بهذا الفتـح؟؟ كـل هـذه السفسـطة والشقشـقة كـان يمكـن أن تشـغل الجميـع، بـل وتشـعل نـار الفرقـة بيـن المسـلمين، ولكـن شـيئا مـن هـذا لـم يحـدث علـى الإطـلاق، بـل عمـد النـاس إلـى العمـل، دون تـأخير أو انتظـار وفتحـت

القسطنطينية[1] كما نبأ محمد بن عبد الله (ﷺ) ولكن بعد ثمانية قرون، على يد السلطان محمد الفاتح -رحمه الله- وقد بذل المسلمون فى تلك القرون الثمانية الدماء الزكية والعرق الغزير حتى نالوا مطلبهم، وحققوا بشرى نبيهم -صلوات ربى وسلامه عليه- وكان يمكن لشك أن يثبطهم، أو ملل يقعدهم، أو السأم يتطرق إلى نفوس بعضهم، ولكن شيئا من هذا لم يحدث على الإطلاق، بل يقال إن المحاصرين للقسطنطينية وصل بهم الحال إلى أن **أكلوا** العذرة -أى البراز- ولكنهم ماوهنوا وماضعفوا، ومافكروا فى التراجع عن غايتهم.

---

(١) دخل محمد الفاتح القسطنطينية سنه ١٤٥٣م بعد معركة استمرت شهرين، وتحول اسمها إلى إسلام-بول، أى مدينة الإسلام، ذكر كارل بروكلمان أنه: فى جامع السلطان محمد الفاتح إلى يمين الباب الرئيس لوحة رخامية كتب عليها بأحرف من ذهب هذا الحديث النبوى الذى تحقق (لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش) الحديث فى الجامع الصغير للسيوطى والسراج المنير شرح الجامع الصغير للمقريزى ١٩٢/٣، انظر تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، ص ٤٣٤،٤٣١، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة.

على أية حال فإننى أقدم هنا بعض أحاديث سيدى رسول الله(ﷺ) التى تنبأ فيها بأحداث وقعت بالفعل، وهذه الأحاديث يدور معظمهما، أوجزء كبير فيها حول فترة الراشدين إلا أنها توجهنا إلى استكشاف المستقبل من خلال الأحاديث النبوية كما وردت فى مراجعها الأصلية، التى ارتضتها الأمة، وعلماؤها الموثوق فى علمهم وصلاحهم، كما توجهنا إلى مزيد من العناية والاطلاع، فإن هذا مما ينير البصائر، ويهدى الى الرشد والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد مصطفى ابو الخير

ذو الحجة ١٤٠٦هـ

اغسطس ١٩٨٦م

١- سراقة يلبس سوارى كسرى

دبرت قريش أمرها وأحكمت مكرها فقررت قتل محمد الذى سفَّه أحلامها، وأقضى مضاجعها، ولكن العناية الإلهية أنجته من سيوفهم الماضية، وخرج النبى الكريم من بين فتيان قريش المحاصرين لداره، وارتحل مع الصديق إلى يثرب حيث النصرة والشوكة والتمكين.

وجن جنون القوم، كيف أفلت محمد من كل هذا المكر والتدبير (ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين)[١] وانطلقت قريش إلى كل طريق إلى يثرب، ولكن عناية الله كانت أسرع، حماية لنبيه من أعاديه وشانئيه.

وتعلن قريش عن جائزة مغرية يسيل لها اللعاب لمن يظفر بمحمد ويرده عليهم، مائة ناقة كاملة يالها من جائزة سخية، جعلت الكل يسارع للحاق بركب المصطفى (ﷺ) وصاحبه بيد أن أحدا لم يدرك طلبه غير سراقة، ولكن من يكون سراقة؟ رجل أعرابى من بنى مدلج، اغرته النوق المائة بأن يسرع بفرسه طاويا الصحراء والرمضاء عله يفوز بجائزة قريش.

ويرى الصديق أن الفارس قد أوشك أن يدركهما فقال: يارسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، فقال: (لاتحزن، إن الله معنا) وبكى الصديق، وانهمرت من عينيه الدموع لاخوفا على نفسه، ولكن خوفا على حياة النبى الخاتم، الذى

---

(١) ٣٠/ الانفال.

يدعو ربه ضارعا: (اللهم اكفناه بما شئت) وتجيب السماء لضراعة النبى فتسوخ أقدام الفرس ويستسلم الفارس مستعطفا سائلا العفو راجيا الرحمة.

لقد تأكد سراقة الآن أنه أمام نبوة مؤيدة من قبل السماء ظاهرة على أعدائها فنادى: (أنا سراقة بن مالك بن جُعْشُم أنظرونى أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه) ترى ماذا يريد سراقة؟ يقول الرجل للنبى الأكرم (تكتب لى كتابا يكون آيه بينى وبينك) وأخذ سراقة الكتاب ووضعه فى كنانته، ثم رجع إلى قريش، فلم يذكر شيئاً مما كان، بل أعمى من ورائه من المشركين الذين كانوا يجدون فى البحث عن محمد وأبى بكر ويسجل سراقة ما حدث[1] قائلا لأبى جهل:

أباحكم، والله لوكنت شاهدا	∴	مر جوادى إذ تسوخ قوائمة
علمت ولم تشكك بأن محمدا	∴	رسول ببرهان، فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى	∴	أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم	∴	بأن جميع الناس طرا يسالمه[٢]

---

(١) من المرجح أن هذا الشعر كان بعد أن بلغ النبى (ﷺ) مأمنه بالمدينة.

(٢) أسد الغابة ٢/٣٣١.

ولاينتصح أبو جهل بهذا الناصح المخلص الشفيق الأمين، حتى يقتل في معركة بدر، ويكتب الله لسراقه الهداية فيذهب للقاء النبي الكريم (ﷺ) بعد أن فرغ من معركة حنين، يقول الرجل(دنوت من رسول الله (ﷺ) وهوعلى ناقته، والله لكانى أنظر إلى ساقة في غرزه كأنه[1] جمارة فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت يارسول الله، هذا كتابك لى، وأنا سراقة بن مالك بن جعشم فقال رسول الله: (هذا يوم وفاء وبر) أدنه فدنوت منه، فأسلمت.

فاز سراقة، نعم فاز ورب الكعبة، منّ الله عليه أن هداه للايمان، ولكنه منح جائزة أخرى، غير جائزة المشركين، أعظم منها وأقيم لقد كان يركض بفرسه يطوى الصحراء، عله يفوز بمائة ناقة، ولكنه الآن يفوز بجائزة من سيد الخلق، محمد (ﷺ) ترى ماذا ستكون؟ مائة ناقة، بضع مئات من النوق، او قل آلاف؟ لا، إنها من هذا كله أعظم، يبشره بها النبي الأكرم فيقول:

(كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجة؟)

---

(١) قلب النخلة، شبه ساق النبي (ﷺ) بالجمارة لبياضها، ولازال هذا التشبيه مستعملا في الريف المصرى، أما الغرز فهو ركاب رحل الجمل.

فهل يلبس سراقة -هذا الأعرابى- سوارى كسرى ومنطقته وتاجه؟! طموح خطر، من الصعب على العقل المحدود أن يفكر فيه فضلا عن تصديقه، لقد كان كسرى على رأس إحدى القوتين العظميين فى ذلك الزمان، فهل ترانا لو عشنا أيامها أكنا نصدق بسهولة أن هذا الرجل الأعرابى سينال ما وعد به محمد بن عبد الله (ﷺ)؟ لقد كان من الممكن أن نتجادل حول ثبوت النص وقطعية الدلالة ولكنها النبوة المؤيدة من السماء.

وقبل أن ينال سراقة جائزة النبى محمد (ﷺ) لابد من قهر كسرى وفتح بلاده، وهو ما نبأ به سيد الخلق صحبه -رضى الله عنهم- ففى غزوة الأحزاب حيث اجتمعت القوى المشركة فى طول الجزيرة وعرضها للقضاء على المسلمين قضاء مبرما، اشار سلمان على النبى الأكرم بحفر خندق حول المدينة، ووزع القائد العمل على الأنصار والمهاجرين، فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا.

ولكن المهاجرين والأنصار احتجوا فى سلمان وكان رجلا قويا -فقال المهاجرين: (سلمان منا) وقالت الأنصار: (لا، بل سلمان منا) ورفع الأمر إلى محمد (ﷺ) فقال:

(سلمان منا أهل البيت)

وينصرف الجميع إى حفر الخندق، ولكن صخرة عنيدة شقت على القوم، وكسرت حديدهم، فقال الصحابة لسلمان: ارق(١) إلى رسول الله (ﷺ)

(١) رأيت هذه الموقعة على الطبيعة بالقرب من المدينة، وتظهر عبارة : (أرق ...) أن مقر قيادة الرسول كانت -كما رأيتها- أعلى الجبل

وهو ضارب عليه قبة تركية، فرقى ايه ورفع الأمر قائلا: (يارسول الله صخرة بيضاء خرجت من بطن الخندق، فكسرت حديدنا وشقت علينا، فإما أن نعدل عنها، والمعدل قريب، أو تأمرنا فيها بأمرك، فإنا لانحب أن نجاوز خطك فقال: (أرنى معولك ياسلمان) فقبض معوله، ونزل القائد (ﷺ) إلى الصخرة، ضربها ضربة فصدعها، وبرق منها برقة أضاء ما بين[1] لابتيها، فكبر الرسول (ﷺ) تكبير فتح، وكبر معه الصحابة.

ثم ضرب الثانية، فبرق منها برق أضاء مابين لابتيها، حتى كأن مصباحا فى جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله (ﷺ) تكبير فتح، وكبر معه الصحابة، رضى الله عنهم.

ثم ضرب الثالثة فكسرها، وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها، وكبر تكبير فتح، وكبر معه الصحابة، ويتساءل سلمان (يارسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط) فالتفت إلى الصحابة فقال: (هل رأيتم؟) قالوا: (نعم بأبينا وأمنا يارسول الله، رأيناك تضرب فخرج موج كالبرق فتكبر فنكبر، لانرى ضياء غير ذلك) قال:

صدقتم، ضربت ضربتى الأولى فبرق الذى رأيتم، فأضاء لى منها قصور الحيرة، ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، وأخبرنى جبريل أن أمتى

---

(١) حرتاها، اى المدينة، والحرة ارض ذات حجارة سود نخرة، كانها احرقت بالنار، واشتهرت المدينة بحرتين، اولابتين، كما راينا فى النص.

ظـاهرة عليهـا، ثـم ضربت ضربتـى الثانيـة، فبرق الـذى رأيتم، فأضـاء لـى قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتى الثالثة، فبرق الذى رأيتم فأضـاء لـى منهـا قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرنى جبريل أن أمتـى ظـاهرة عليهـا يبلغن النصر فأبشروا[1].

ومن العجيب أن تاتى هذه البشارة فى غزوة الخندق حيث بلغ الخـوف والابتلاء بالمسلمين مبلغـا عظيمـا، وازداد الموقف شـدة وحرجا بخيانـة بنـى قريظة، ونقضهم للعهد وأصبح المسلمون بين فكـى كماشـة، الأحـزاب أمـامهم وبنو قريظة خلفهم، أو كما عبر القرآن[2]الكريم:

(إذ جاءوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلـوب الحنـاجر، وتظنـون بالـله الظنونـا، هنـالك ابتلـى المؤمنـون وزلزلـوا زلزالا شديدا، وإذ يقول المنافقون والذيـن فـى قلوبهـم مـرض ماوعدنـا اللـه ورسوله إلاغرورا، وإذ قالت طائفة منهم: يا أهل يثرب، لامقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريـق منهـم النبـى يقولـون: إن بيوتنـا عـورة، ومـاهى بعورة، إن يريدون إلا فرارا).

---

(١) جمع الجوامع للسيوطى، حديث رقم ١٢-١٥٢٠٦.

(٢) ١٠-١٣/الأحزاب.

نعم ظن بعض المسلمين بالله الظنونا، حتى قال أحدهم[1]: (كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لايأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!!).

وأشفق النبى الأكرم (ﷺ) على المسلمين من هذا البلاء فأرسل إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف قائدى غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه.

وأرسل النبى الأكرم (ﷺ) إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة زعيمى الأنصار يستشيرهما فى الأمر فقالا، رضى الله عنهما : (أمرا تحبه فتصنعه، أم شيئا أمرك الله به، لابد من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا).

قال:

(بل شىء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة كالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما).

قال سعد بن معاذ:

(يارسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لانعبد الله، ولانعرفه وهم لايطمعون أن ياكلوا منها ثمرة إلا قرى[2]

---

(١) هو معتب بن قشير، قال ابن هشام: (أخبرنى من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين واحتج بأنه كان من أهل بدر).

(٢) ما يقدم للضيف.

أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا!! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم).

قال الرسول (ﷺ):

(فأنت وذلك) وهنا تناول سعد بن معاذ صحيفة الصلح فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال (ليجدهروا علينا[1]).

واختار الأنصار طريق ذات الشوكة، وصمدوا أمام القوة المستكبرة حتى نصرهم الله على الأحزاب واليهود والمنافقين، فانكشفت الغمة، وقهر أعداء الله، ثم مَنّ رب العزة على المسلمين بفتح مكة واستتب الأمر للمسلمين فى جزيرة العرب، ومات خاتم المرسلين (ﷺ) وخلفه الصديق (رضي الله عنه) وتمرد العرب، ارتد بعضهم عن الإسلام، ومنع بعضهم الزكاة ولكن الصديق استطاع القضاء على كل هذه الفتن واستتب الأمر مرة أخرى لحكومة المدينة وبدأت الجحافل الاسلامية تتجه نحو فارس والروم وفتحت المدن والامصار وفى سنة١٣هـ مات الصديق فخلفه الفاروق (رضي الله عنه) فكان خير خلف لخير سلف -وسارت حركة الفتوح سيرا حثيثا دءوبا حتى قهر المسلمون كسرى وازالوه عن ملكه- وحمل احد الجنود سوارى كسرى ومنطقته وتاجه الى الخليفة فى المدينه حيث جاء بسراقة فالبسه السوارين والمنطقة والتاج، وقال له عمر: ارفع يدك، وقل:

---

(٢) سيرة ابن هشام ١٦٣/٣.

الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز
الذى كان يقول: أنا رب الناس
وألبسهما سراقه، رجلا أعرابيا
من بنى مدلج...

وهكذا تحقق وعد النبى (ﷺ) لسراقه وفتحت فارس والروم واليمن تحقيقا لنبوئته (ﷺ) فما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

وإنه ليحق للمرء أن يتساءل عن الوقت الذى نبأ فيه محمد (ﷺ) أصحابه بفتح اليمن وفارس والروم، إذ كان وقت شدة وخوف كما أشرنا، وهو دلالة على أن الباطل حين يعلو وينتشر وينتفخ، فإن هذه نهايته، وبدء علو الحق[1] وتمكينه، فقد رأينا أن غزوة الأحزاب كانت آخر غزوات المشركين للمدينة، التى تحولت من موقف الدفاع إلى الهجوم.

ولكن الباطل لايزول وحده، بل يقهره أهل الحق بالعرق والعمل والتضحيات الجسام، فهل فتحت البلاد والأمصار بالأمانى العاطلات عن بذل النفس والنفيس، والعرق والدم، أم تراها قد فتحت بالجدال والثرثرة، وفتح أبواب الخصومة واللجاج؟!

---

(١) مما يعطى الأمل لأهل الحق بأن الباطل زائل لامحالة مهما علت رايته وقويت شوكته، ما دام الهدف صحيحا والطريق إليه سليما مستقيما.

٢- مقتل كسرى

ابتليت اليمن قبل الإسلام بملك ظالم يدعى ذو نواس، حاول إجبار الناس على الدخول فى اليهودية، وهجر دين عيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام- مخيرا المؤمنين بين دينه أو الموت الفورى.

ولكن فارسا من قومه تمكن من الهرب -هذا الفارس كان يدعى دوس ذو ثعلبان- ويمضى دوس على وجهه حتى استطاع فى النهاية أن يأتى قيصر، ملك الروم، فاستنصره على ذى نواس وجنوده فأجاب القيصر بقوله: (بعدت بلادك -يعنى اليمن- منا ولكن سأكتب إلى ملك الحبشة، فإنه على هذا الدين -دين عيسى- وهو أقرب إلى بلادك).

وشد الفارس رحاله إلى الحبشة، فقدم على النجاشى وأعطاه كتاب قيصر، وهنا زوده الأحباش بسبعين ألف رجل، يقودهم أرياط، الذى تحرك بحرا حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس، وسارع ذو نواس إلى لقاء الجيش الحبشى فانهزم، ويقال بأن الملك اليمنى حين رأى ماحل بجيشه وبقومه من هزيمة على يد الأحباش مات منتحرا، بعدها استتب الأمر لارياط فى اليمن فملكها، وبقى أرياط سنوات بأرض اليمن، ثم نازعه أحد جنوده الأحباش ويدعى أبرهة، فانقسم الجيش المحتل إلى فريقين، فريق مع أرياط وفريق مع أبرهة، وقرعت طبول الحرب، وكاد القتال أن يقع، إلا أن هذا الجندى الخبيث أرسل إلى قائده السابق يعرض عليه المبارزة:

(فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده)

وخرج القائد للمبارزة فحمل على أبرهة بحربته يريد رأسه ولكن الحربة وقعت على جبهة أبرهة وشرمت حاجبه وأنفه وشفتيه، فبذلك سمى أبرهة الأشرم، وهنا برز أحد عبيد أبرهة فحمل على أرياط -من خلف ظهره- فقتله، وبذا استتب الأمر للجندى الأشرم[1].

وبلغ النجاشى خبر مقتل قائده غدرا وغيلة، فغضب غضبا شديدا، ثم أقسم لايدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويجز ناصيته ووجد أبرهة مخرجا لغضب سيده، فحلق رأسه، وملأ جرابا من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشى، وكتب إليه :-

(أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، فاختلفنا فى أمرك، وكلٌ طاعته لك، إلا أنى كنت أقوى على الحبشة وأضبط لها، وأسوس منه، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى، ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فىّ).

فلما انتهى ذلك الى النجاشى سكت غضبه، وكتب إلى أبرهة أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى.

---

(١) لما رأى الإمام على (رضي الله عنه) أن القتل قد استحر بالناس فى صفين دعا معاوية لمبارزته، حقنا لدماء المسلمين، كما فعلت الأحباش، ولكن معاوية كان على يقين تام من أن فارس آل البيت لايصارع أحدا إلا صرعه، ولذا تقدم عمرو بن العاص، فلما تغلب عليه الإمام كشف عورته، فأفلت من موت محقق، فقد كان على لايصبر على رؤية العورة، ولوكانت عورة عدوه... الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ص١١١.

ولكن الأقدار كانت تعد لأبرهة ميتة شنيعة، حيث ساقته أطماعـه إلـى هدم الكعبة فى مكة، وهو مايجده القارئ مفصلا فى موضعه من كتب السيرة والتاريخ.

ولما هلك الأشرم خلفه ابنه يكسوم، وحين مـات خلفـه مسروق أخـوه واشتد البلاء على أهل اليمن، وفاض الكيل وطفح، فخرج سـيف بـن ذى يـزن حتى قدم على قيصر، فشكا إليه ماهم فيه، وسـأله ان ينصـره علـى الأحبـاش، وتكون اليمن للروم، ولكن القيصر لم يجبه إلى ماطلب، فانصرف إلى النعمان ابن المنذر عامل كسرى على الحيرة، ومايليهـا مـن أرض العـراق فشـكا إليـه أمر الحبشة، فقال له النعمان (إن لى على كسرى وفادة فى كل عام فأقم حتـى يكون ذلك).

وذهب سيف يصحبه النعمان للقاء كسـرى، فـى إيوانـه، وعلـى الملك تاجة الذى كان يشبه المكيال العظيم، يضرب فيـه اليـاقوت واللؤلـؤ والزبرجـد بـالذهب والفضـة معلقـا بسلسلة ذهبيـة فـى رأس طاقـة، لأن عنـق كسـرى لاتستطيع حمل هذا التاج الضخـم، المثقل بـانواع المعـادن النفيسـة والأحجـار الكريمة، وكان يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسـه فـى تاجه فإذا استوى فى مجلسه، كشفت عنه الثياب.

وعرض سيف بن ذى يزن على الكسرى مطلبـه قـائلا: (أيهـا الملـك، غلبتنا على بلادنا الأغربة) فقال كسرى: (أى الأغربة الحبشة أم السند؟) فقال: (بل الحبشة، فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لـك) فـرد الكسـرى: (بعـدت

بلادك مع قلة خيرها، فلم اكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب، لاحاجة لى بذلك).

ثم واسى كسرى ضيفه بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة حسنة إلا أن الضيف جعل ينثر المال للناس خارج القصر، فبلغ ذلك الملك فقال:

(إن لهذا لشأنا) ثم بعث إليه متسائلا: (عمدت إلى حباء[1] الملك تنثره للناس؟!) فقال: (وما أصنع بهذا، ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة) فجمع كسرى وزراءه يستشيرهم فى الأمر، فقال أحد الوزراء: (أيها الملك، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكا ازددته) فبعث كسرى من كان فى سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

وعقد الملك القيادة لرجل منهم كان ذا حسب وبيت يقال له وهرز، فخرجوا فى ثمانى سفائن، غرقت اثنتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن، وجمع سيف بن ذى يزن إلى وهرز من استطاع من قومه، والتقت القوات الفارسية العربية المشتركة يقودها وهرز بالقوات الحبشية يقودها مسروق بن أبرهة الأشرم ودارت الدائرة على الأحباش، ودخل وهرز صنعاء واستقر الأمر للفرس ومحالفيهم من العرب، بعد احتلال حبشى دام اثنين وسبعين عاما.

---

(١) عطاء.

وظل الفرس فى اليمن حتى بعث النبى الخاتم محمد (ﷺ) وهنا كتب كسرى إلى بازان عاملة فى صنعاء: (بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة بزعم أنه نبى، فسر إليه فاستتبه، فإن تاب، وإلا فابعث إلى برأسه) فبعث بازان بكتاب كسرى إلى رسول الله (ﷺ) فكان رد النبى: (إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا) وهنا توقف بازان لينظر، وقال (إن كان نبيا فسيكون ما قال).

وكان ماقال الرسول الكريم (ﷺ) فقتل كسرى على يد ابنه شيرويه فى اليوم المحدد، وهنا بعث القائد الفارسى بازان بإسلامه، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله (ﷺ) فقالت الرسل من الفرس: (إلى من[1] نحن يارسول الله؟) قال:

(أنتم منا وإلينا أهل البيت).

روى عن الزهرى[2] انه قال: فمن ثم قال رسول الله (ﷺ)[3]:

سلمان منا أهل البيت.

---

(١) أى ولاؤنا وانتماؤنا إلى من؟ فقد قطعوا ولاءهم بكسرى لأنهم رفضوا تنفيذ أوامره، وانحازوا إلى النبى الأكرم.

(١) محمد بن شهاب الزهرى، أحد تابعى المدينة، توفى ١٢٤هـ.

(٢) رجعنا فيما كتبنا هنا إلى سيرة ابن هشام ١/٢٢-٤٥ وتفسير ابن كثير لسورة البروج، ويمكن الرجوع إلى تفسيره لسورة الفيل أيضا.

٣- الخلافة والملك

من أهم الأحداث الجسام التى مرت بالعالم الإسلامى والتى لم تزل تؤثر فى مسيرته حتى الآن تحول الخلافة إلى ملك على معاوية ومن العجيب أن سيدى رسو ل الله (ﷺ) قد حدد فترة الخلافة الراشدة، كما كانت تماما يقول :

(الخلافة ثلاثون عاما، ثم يكون بعد ذلك الملك[١])

فقد توفى النبى الخاتم (ﷺ) فى العام الحادى عشر للهجرة، وتولى بعده الصديق ثم الفاروق ثم ذو النورين ثم الإمام على وأخيرا الحسن بن على الذى تنازل لمعاوية حقنا لدماء المسلمين، وتم الصلح واحد وأربعين، وهو ماسماء البعض بعام الجماعة، اى أن الخلافة الراشدة استمرت ثلاثين عاما بالتمام والكمال[٢].

بل إن النبى الخاتم -صلوات ربى وسلامه عليه- قد حدد لصحابته الأكرمين المراحل التى سيمرون بها، وهى:

---

(١) مسند ابن حنبل ٥/٢٢٠،٢٢١.

(٢) تولى الصديق الخلافة فى ربيع الأول سنة ١١هـ، وتنازل الحسن لمعاوية فى ربيع الأول سنة ٤١هـ.

١- النبوة والرحمة.

٢- الخلافة والرحمة.

٣- الملك العضوض.

ففى الحديث الشريف:

(إن هذا الأمر بدا نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكا عضوضا[١]).

وبالفعل فقد عاش بعض الصحابة -رضى الله عنهم- زمن النبوة فقط، ولم يشهدوا فترة الخلافة، فى حين امتد العمر ببعض الصحب الكرام حتى عاش أيام الخلافة أو بعضها، وكتب للبعض أن يرى بعينه راية الخلافة الراشدة، وهى تسقط، لتتحول إلى ملك عضوض، على يد الأمويين.

ويلاحظ أن النبى الكريم (ﷺ) وصف النبوة بالرحمة، وهذا مالايحتاج إلى دليل، ثم وصف الخلافة أيضا بالرحمة، دلالة على أن الخلافة كانت على منهاج النبوة كما تشير بعض الأحاديث التى سنذكر واحدا منها هنا، وعلى العكس من النبوة والخلافة، وصف الملك بأنه عضوض، من العض، وهو الإضرار بالناس.

---

(١) وفى رواية أخرى: (ثم تكون جبروتا وفسادا) انظر مسند ابن حنبل ٢٧٢/٤، ٤٤/٥، ٥٠، ٤٠٤.

وإذا كان الحديث السابق قد حدد المراحل التى سيمر بها صحابته، أى النبوة والخلافة والملك، فان حديثا آخر يرتب المراحل التى ستمر بها البشرية منذ النبوة الخاتمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بخمس مراحل هى:

١- النبوة.

٢- الخلافة على منهاج النبوة.

٣- الملك العاض.

٤- الملك الجبرى.

٥- الخلافة على منهاج النبوة.

يقول سيدى رسول الله (ﷺ) فى مسند ابن حنبل[١]:

(تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية[٢]، فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة).

---

(١) ٤/٢٧٣.

(٢) فى رواية أخرى: (جبروتا وفسادا) وكان الجبروت مقترناً بالفساد.

ولقد وقفت مبهورا مندهشا أمام قول سيدى رسول الله (ﷺ) لعمه العباس بن عبد المطلب: (فيكم النبوة والمملكة[1]).

وبالفعل كان فيهم النبى الخاتم (ﷺ) وكان فيهم المملكة أو الملك، كما جاء فى الأحاديث الأُخَر التى ذكرناها، فقد ورث العباسيون حكم الأمويين، بعد سقوط دولة بنى أمية سنة ١٣٢هـ، وظل بنو العباس فى ملكهم قرونا طوالا إلى أن انتهى أمرهم على يد التتار الذين دخلوا بغداد[2] سنه ٦٥٦هـ.

---

(١) جمع الجوامع للسيوطى ص ٣٦٣٠.

(٢) دول الإسلام للذهبى.

٤- الزهراء تلحق بأبيها

كانت السيدة فاطمة الزهراء أثيرة عند أبيها، حبية الى قلبة (ﷺ) فهو القائل (فاطمة قطعة منى، فمن أغضبها أغضبنى[١]).

عن السيدة عائشة، رضى الله عنها: (أقبلت فاطمة تمشى، كأن مشيتها مشى النبى، فقال النبى: (مرحبا بابنتى) ثم أسر إليها حديثا فبكت، ثم أسر إليها حديثا فضحكت فسألتها عما قال فقالت: (ما كنت لافشى سر رسول الله) حتى قبض النبى فسألتها فقالت: (أسر إلى أن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى، وانك أول أهل بيتى لحاقا بى ، فبكيت، فقال: (أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين) فضحكت[٢] لذلك.

وكانت الزهراء بالفعل أول من لحق بالنبى (ﷺ) من آل البيت، فلم تمكث بعد أبيها غير ستة اشهر[٣].

---

(١) صحيح البخارى ١٤١/٦.

(٢) السابق ٦٢/٦.

(٣) السابق ٣٤٥/٦.

٥- عائشة وعلى

ابتلى محمد (ﷺ) بحادث الإفك حين تخلفت السيدة عائشة -رضى الله عنها- عن الجيش فى غزوة بنى المصطلق، فلما وجدها صفوان بن المعطل السلمى(رضي الله عنه) أناخ بعيره مسرعا إلى الجيش، فقال أهل الإفك ما قالوا عن زوجة النبى الخاتم، ابنة الصديق.

وهنا استشار النبى (ﷺ) أسامة بن زيد وعلى بن ابى طالب، فقال أسامة: (يارسول الله، أهلك، ومانعلم إلا خيرا).

أما على فقال: (يارسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسال الجارية تصدقك)[١].

يقول المودودى[٢]: (وأكبر فريه فى هذا الباب هى دعوى بنى أمية بأن عليا هو مصداق لهذه الآية: (والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم)[٣] فقد روى عن هشام بن عبد الملك (ت١٢٥هـ) أنه قال: (الذى تولى كبره هو على بن أبى طالب) مع أن عليا لم يكن له أدنى صلة بهذه الفتنة، وغاية ما فى الأمر أنه لما استشاره (ﷺ) فى أمر عائشة عند اشتداد قلقه واضطرابه أشارعليه بأن الله لم يضيق عليه والنساء كثير، فإن شاء طلق عائشة وتزوج

---

(١) تفسير سورة النور للمودودى ص١٩، وانظر أيضا تفسير ابن كثير.

امراة اخرى، وليس معنى هذا ان عليا صدق ما رُميت به عائشــة، وإنمـا أراد أن يزيل القلق والاضطراب عن رسول الله (ﷺ) ولو كان اشترك فى الإفـك ماالستشاره النبى (ﷺ) ولأقام عليه الحد بعد ثبوت بـراءة السيدة عائشـة كمـا جاء فى سورة النور.

وقد بنى على ماسبق أن السيدة عائشــة -رضـى اللـه عنهـا- خرجـت على أمير المؤمنين، ووقفت فى صفوف الأمويين يوم الجمل لموقف على أيـام الإفك، والواقع أننى لاأميل الى هذا القول، بل الراجح عندى أن أعـداء الإمـام استدرجوا أم المؤمنين بالدهـاء والحيلـة يمنونهـا بـإصلاح ذات البيـن، وحقـن الدماء، مؤكدين على قتل عثمان ظلمـا، وتقصير أمـير المؤمنيـن فـى القبـض على القتلة.

روى ابن حنبل[1]: لما أقبلت عائشة بلغت مياه بنى عامر ليـلا نبحـت الكلاب، قالت: (أى ماء هذا؟) قالوا: (ماء الجوأب) قالت: ماظننى إلا راجعـة فقال بعض من كـان معهـا: بـل تقدميـن فـيراك المسـلمون فيصلـح اللـه -عـز وجل- ذات بينهم، قالت: إن رسول الله (ﷺ) قال لها ذات يوم:

(كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب).

---

(١) مسند أحمد ٦/٥٢.

وفى حديث آخر يقول النبى الاكرم (ﷺ) لأبى السبطين[1]:

(سيكون بينك وبين عائشة أمر) قال على: (فأنا أشقاهم يارسول الله) قال: (لا، ولكن إذا كان ذلك، فارددها إلى[2] مأمنها).

وهذا ماكان، فقدردها أمير المؤمنين بعد واقعة الجمل المشئومة، ردها معززة مكرمة إلى المدينة، كما أمره رسول الله (ﷺ)، ولقد كان خروج أم المؤمنين، ودخولها فى معمعة هذه الفتنة وهذا الخلاف خطبا عظيما وبلاء كبيرا للناس يقول عمار بن ياسر: (إنى لأعلم أنها زوجته، فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه[3] أو تتبعوها) ولكنها تابت وندمت ندما شديدا، عندما اتضحت لها أبعاد المأساه وهول المؤامرة، غفر الله لنا ولها، وأقال عثرتنا وعثرتها.

---

(١) السبطان الحسن والحسين.

(٢) جمع الجوامع للسيوطى، ص٢٥٧٤.

(٣) صحيح البخارى ١٤٢/٦.

٦-النبى يوصى بالأنصار

مر أبو بكر والعباس -رضى الله عنهما- بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: مايبكيكم، قالوا: ذكرنا مجلس النبى (ﷺ) منا، فدخل على النبى (ﷺ) فاخبره بذلك فخرج (ﷺ) وقد عصب على رأسة حاشية برد فصعد المنبر -ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشى وعيبتى[1]، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم[2]).

وروى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: خرج رسول الله (ﷺ) وعليه ملحفة متعطفا بها على منكبيه، وعليه عصابة أسماء، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) موضع سرى وأمانتى.

(٢) صحيح البخارى ١٥٤/٤ .

(وأما بعد، أيها الناس، فإن الناس يكثرون، وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالملح فى الطعام، فمن ولى منكم أمرا يضر فيه أحداً أو ينفعه، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم)[١].

وقال النبى (ﷺ) للأنصار: (إنكم ستلقون بعدى أثرة، فاصبروا حتى تلقونى، وموعدكم الحوض)[٢]

ويفهم من تلك الأحاديث التى ذكرناها هنا أن أمر الخلافة للمهاجرين، وليس للأنصار، وإلا فما معنى الوصية بهم؟؟ بل إن النبى الأكرم (ﷺ) ذكر صراحة أن:(الخلافة فى قريش)[٣]. بالتحديد، وهى نبوءة بأن خلفاءه سوف يكونون قريشيين، وهو ماكان بالفعل، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن كلهم من قريش، وإلا لتعارض هذا مع حديث :

---

(١) صحيح البخارى ١٥٥/٤.

(٢) السابق ١٥١/٦ مسلم ١٤٣/٢.

(٣) مسند ابن حنبل ١٨٥/٤.

(اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشى)[1] إذ العبرة بالكفاءة، لابكونه قريشا أوعربيا أو أعجميا).

وقد أسرع الأنصار عند وفاة سيد الخلق إلى السقيفة فقد رأوا أن أمر الخلافة إن خرج من أيديهم لن يعود إليهم أبدا، ويبدو أن تلك الاحاديث كانت ماثلة أمام أعينهم، فخافوا من تلك الأثرة التى وردت فى أقوال النبى الخاتم(ﷺ).

وقد عبر عن هذا المعنى ابن المنذر الأنصارى، عندما قال لقومه الذين بايعوا أبابكر فى السقيفة(فعلمتوها يامعشر الأنصار، أما والله لكأنى بابنائكم على أبواب أبنائهم -يقصد المهاجرين- قد وقفوا يسألونهم بأكفهم، ولايسقون الماء) فرد عليه أبو بكر معاتبا: (امنا تخاف ياحباب؟) قال: (ليس منك أخاف، ولكن ممن يجيء بعدك) قال أبو بكر: (فإذا كان ذلك كذلك، فالأمر إليك، وإلى أصحابك، ليس لنا عليكم طاعة) قال الحباب: (هيهات يا أبا بكر، إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم[2]).

وقد وعى الراشدون -رضى الله عنهم- نصائح سيد الخلق (ﷺ) فنعم الأنصار -رضى الله تعالى عنهم- فضلاعن المهاجرين أنفسهم بالخلافة الراشدة التى كانت على الجميع رأفة ورحمة، اذ كانت على منهاج النبوة،

---

(١) صحيح مسلم ١٣٠/٢ ، ١٣١.

(٢) الامامة والسياسة ص ١٢.

وحين انتهت تلك الخلافة، ونكب المسلمون بالملك العضوض، كانت الأثرة التى ذكرها الرسول (ﷺ) وقد صبر الأنصار عليها، وسوف يلقون على الحوض حبيبهم، صلوات ربى وسلامه عليه.

٧- مناقب الراشدين

نذكر هنا بعض مناقب الراشدين، كما ذكرها سيد الخلق (ﷺ) في أحاديثه التي كانت هاديا للمسلمين في تلك الفترة المهمة من حياة الأمة، نبدأ بالصديق، الخليفة الأول، حتى ننتهي إلى ريحانة رسول الله (ﷺ) الحسن بن على الخليفة الخامس.

أولا : الصديق أبوبكر بن أبى قحافة :

١- عن ابن عمر : كنا نخير[١] بين الناس زمن النبى (ﷺ) فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان رضى الله عنهم[٢].

٢- أتت امراة النبى (ﷺ) فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: (يارسول الله، أرايت إن جئت فلم أجدك) كأنها تعنى الموت، قال: (فإن لم تجدينى فأتى أبابكر)[٣].

٣- سئل النبى (ﷺ): (اى الناس أحب إليك؟)

قال: (عائشة) فقال السائل:

---

(١) نخير، أى نقول فلان خير من فلان.

(٢) البخارى ٦/٦٩.

(٣) السابق. وصحيح مسلم ٢/٣٥٢.

(من الرجال؟) قال: (أبوها) قيل: (ثم من؟) قال: (عمر بن الخطاب) ثم عد رجالا[1].

٤- عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه على بن أبى طالب: (أى الناس خير بعد رسول الله (ﷺ)؟ قال: (أبو بكر) قال: محمد بن الحنفية: (ثم من؟) قال: (عمر) ثم خشى أن يقول عثمان فقال: (ثم أنت) فقال على: (ما أنا إلا رجل من المسلمين)[2].

٥- صعد النبى (ﷺ) وابوبكر وعمر وعثمان جبل أحد فرجف بهم، فقال الرسول (ﷺ): (اثبت أحد، فانما عليك نبى وصديق وشهيدان)[3].

وفى رواية أخرى: كان الرسول (ﷺ) على جبل حراء، هو وأبو بكر وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، فتحركت الضخرة فقال الرسول:

---

(١) البخارى ٦/٨٣
(٢) السابق ٦/٨٧
(٣) السابق ٦/٩١

(اهدأ، فما عليك إلا نبى، أو صديق [1] أو شهيد[2]).

٦- قال الرسول(ﷺ) لعائشة فى مرضه (ادعى لى أبا بكر أباك، وأخاك حتى أكتب، كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا ابا بكر)[3].

ثانيا- الفاروق عمر بن الخطاب:

١- قال النبى(ﷺ):(رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا-والله يغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا يفرى فرية، حتى روى الناس، وضربوا بعطن)[4].

---

(١) فالنبى هو سيد الخلق (ﷺ) والصديق هو أبو بكر، والشهداء هم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، وفى الحديث:(طلحة شهيد يمشى على الأرض) جمع الجوامع للسيوطى ص ٢٩٤٥، ومن ثم أخبر النبى (ﷺ)أن: (طلحة والزبير جاراى فى الجنة)جمع الجوامع ص٢٩٣٨.

(٢) مسلم ٣٦٦/٢.

(٣) السابق ٣٥٢/٢

(٤) صحيح البخارى ٩٥/٦، وهذا الحديث إشارة إلى خلافة أبى بكر وعمر، وكثرة الفتوح وظهور الإسلام زمن عمر.

٢- قال الرسول(ﷺ): (بينما أنا نائم، رأيت الناس عرضوا على، وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثرى، ومنها مايبلغ دون ذلك ، وعرض على عمر، وعليه قميص اجتره) قالوا:(فما أولته يارسول الله) قال: (الدين)[1].

٣- قال النبى الأكرم - صلوات ربى وسلامه عليه: (كان فى الأمم قبلكم محدثون[2] فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم) [3].

٤- وفى الحديث أيضا:(عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة[4]-عمر منى، وأنا مع عمر، والحق بعدى مع عمر، حيث كان)[5].

٥- روى ابن عباس: وضع عمر بن الخطاب على سريره، فتكنّفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه -رضى الله عنه وأرضاه- قبل أن يرفع فلم يرعنى إلارجل، قد اخذ بمنكبى من ورائى، فالتفت إليه، فإذا هو على ابن أبى طالب، فترحم على عمر وقال:

---

(١) صحيح البخارى ١٠١/٦.

(٢) ملهمون.

(٣) صحيح مسلم ٣٥٦/٢.

(٤) جمع الجوامع للسيوطى ص ٣٣٥٨.

(٥) السابق ٣٣٥٩.

(ماخلفت احد أحب إلى أن ألقى الله بمثل عملــه منـك -وايم اللـه- إنـى كنـت لأظن أن يجلعك اللـه مـع صـاحبيك[1] ، وذلـك أنـى كنـت أسـمع رسـول اللـه (ﷺ) يقول: (جئت أنا وأبوبكر وعمر، وخرجت أنا وابـو بكـر وعمـر) فـإنى كنت لارجو أن يجعلك الله معهما)[2].

ثالثا : ذو النورين، عثمان بن عفان:

١- قال النبى (ﷺ): (من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان، وقال : (من جهز جيش العسرة فله الجنة) فجهره[3] عثمان.

٢- عن ابن عمر -رضـى اللـه عنهمـا- قـال: (كنـا فـى زمـن النبـى (ﷺ) لانعدل بأبى بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبى (ﷺ) لانفاضل بينهم)[4]

---

(١) رسول الله (ﷺ) والصديق.

(٢) صحيح مسلم ٢/٣٥٣.

(٣) صحيح البخارى ٦/١٠٣،١٠٤.

(٤) السابق ٦/١٠٦.

٣- قال رسول الله (ﷺ): عثمان تستحيى منه الملائكة ..... [(١)]

عثمان بن عفان وليى فى الدنيا والآخرة ......[(٢)]

عثمان أحيى أمتى وأكرمها فى الدنيا والآخرة...... [(٣)]

٤- قال النبى الأكرم (ﷺ):

غفر الله لك ياعثمان، ماقدمت وما اخرت، وماسررت وما أعلنت، وما أخفيت وما أبديت، وماكان منك، وما هو كائن إلى يوم القيامة[(٤)].

رابعا: أبو السبطين على بن ابى طالب:

قال النيسابورى: (لم يرد فى حق أحد من الصحابة -رضى الله عنهم- من الأحاديث الحسان ماورد فى حق على): وقال ابن حنبل: (ماجاء فى أحد من الفضائل[(٥)] ماجاء فى على) ونذكر الآن طرفا من تلك الاحاديث كما ذكرها سيدى رسول الله (ﷺ):

١- قام رسول الله (ﷺ) خطيبا بماء يدعى ُخمّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال:(أما بعد، ألا ايها الناس، فانما أنا

---

(١) جمع الجوامع للسيوطى ص٢٠٠٩.

(٢) السابق ص٣٠٢٠.

(٣) السابق ص ٣٠١١.

(٤) السابق ص ٣٤٤٧.

(٥) السابق ص ٣٣٤٤.

بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وأنـا تـارك فيكم ثقلين، اولهمـا كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتـاب اللـه، واستمسكوا بـه) فحـث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: (وأهل[1] بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى اهل بيتى)[2].

٢- عن أبـى هريـرة أن رسـول اللـه (ﷺ) قـال يـوم خيبر: (لأعطيـن هـذه الرايـة رجـلا يحـب اللـه ورسوله، يفتـح اللـه علـى يديـه) قـال عمـر بـن الخطاب: (ما أحببت الأمارة إلا يومئذ) وقال أبو هريرة: (فتساورت لهـا، رجاء أن ادعى لها) فدعا رسول الله (ﷺ) على بن أبى طالب، فأعطـاه إياها وقال: (امش، ولاتلتفت حتى يفتح الله عليك) فقال على :

(يارسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا) فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللـه فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحـدا خـير لـك مـن أن يكـون لـك حمـر النعم)[3].

---

(١) لما نزل قوله تعالى: (فقل تعالوا نـدع أبناءنـا وأبنـاءكم......)الآيـه ٦١ آل عمـران، دعا رسول الله (ﷺ) عليا وفاطمة والحسن والحسين فقـال: (اللهـم هـؤلاء أهلـى صحيح مسلم ٣٦٠/٢

(٢) مسلم ٣٦١/٢.

(٣) مسلم ٣٦١/٢.

٣- عن ابن عباس قال: لما اخى النبى (ﷺ) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فلم يؤاخ بين على بن أبى طالب (رضي الله عنه) وبين أحد منهم خرج على معضبا، حتى أتى جدولا، فتوسد دراعه، فسفت عليه الريح، فطلبه النبى (ﷺ) حتى وجده، فقال قم، فما صلحت أن تكون الا أب تراب، أغضبت على حين واخيت بين المهاجرين والأنصار، ولم أواخ بينك وبين أحد منهم، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه ليس بعدى نبى، الا من احبك حق بالأمن والإيمان، ومن أبغضك اماته الله مينه الجهليه، وحوسب[٢] بعمله فى الإسلام[٣].

٤ بعث رسول الله (ﷺ) عليا فى جيش، فرأوا منه شيئا فأنكروه، فاتفق نفر أربعة، وتعاقدوا أن يخبروا النبى (ﷺ) بما صنع على، وكان الصحابة اذا قدموا من سفر ثم يأتوا أهلهم حتى يأتوا رسول (ﷺ) ينظروا إليه، فجاء النفر الأربعة فقال أحدهم ·

(يارسول الله، ألم تر ان علي صنع كذا وكذا) فاعرض عنه، ثم قام الثانى فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قام الثالث، فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم

(٢) سئل رسول الله (انؤاخذ بماعملنا فى الجاهلية؟) فقال (اما من احسن منكم فى الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله فى الجاهليه والإسلام) مسلم ٦٢/١

(٣) جمع الجوامع ص٤٠٠٧.

قام الرابع فقال مثل ذلك فقال الرسول:مالهم ولعلى، إن عليا منى، وأنا منه، وهو ولى كل مؤمن بعدى[1].

٥- قال النبى (ﷺ):

قم ياعلى فقد برئت، وما سألت الله شيئا إلا أعطانى، وما سألت الله شيئا إلا سألت لك مثله، إلا أنه قيل لانبوة بعدك[2] ....

على منى وأنا من على، ولايؤدى عنى إلا على[3]...............

علـى مـع القـرآن، والقـرآن مـع علـى، لـن يتفرقـا، حتـى يـردا علـى الحوض[4].........

ياعلى من فارقنى فارق الله، ومن فارقك فارقنى[5]...............

على منى بمنزلة رأسى من بدنى[6] ....

---

(١) جمع الجوامع ص٣٣٥٠.

(٢) السابق ص خ ٤٠٠١.

(٣) السابق ص ٣٣٣٩.

(٤) جمع الجوامع ص ٣٣٤٤.

(٥) السابق ص ٣٣٤٥.

(٦) السابق ص ٣٣٤١.

على أخى فى الدنيا والآخرة[1]............

على أصلى، وجعفر [2] فرعى[3]...........

على عيبة[4] علمى[5]......

عادى الله من عادى عليا[6]............

ياعلى من سبك فقد سبنى (رواه النسائى)

على إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله[7]. على يعسوب[8] المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين[9].... شفاعتى لأمتى من أحب أهل بيتى، وهم شيعتى[10]......

---

(١) السابق ص ٣٣٤٤.

(٢) جعفر بن ابى طالب.

(٣) جمع الجوامع ٣٣٤١.

(٤) موضع سرى ومعدن نفائسى.

(٥) السابق ص ٣٣٤٧.

(٦) السابق ص ٣٣٤١.

(٧) السابق

(٨) اليعسوب الرئيس والأمير.

(٩) السابق ص ٣٣٤٨.

(١٠) السابق ص ٢٦٥٢.

خامسا: ريحانه رسول الله، الحسن بن على[1] :

١- أخرج البخارى عن أنس قال: (لم يكن أحد اشبه بالنبى (ﷺ) من الحسن ابن على).

٢- أخرج الشيخان عن البراء قال: رأيت رسول الله (ﷺ) والحسن بن على عاتقه، وهو يقول: (اللهم إنى أحبه، فأحبه).

٣- أخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال: قام الحسن بن على يخطب فقام رجل من أزد شنوءة فقال أشهد لقد رأيت رسول (ﷺ) واضعه فى خبوته، وهويقول: (من أحبنى فليحبه، وليبلغ الشاهد الغائب) ولولا كرامة رسول الله (ﷺ) ماحدثت به أحدا.

٤- أخرج البخارى عن ابن عمر قال: قال النبى (ﷺ): (هم ريحانتاى من الدنيا) يعنى الحسن والحسين.

٥- أخرج الترمذى والحاكم عن ابى سعيد الخدرى، قال: قال رسول (ﷺ): (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

---

(١) أخذنا هذه الأحاديث عن الحسن من تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٨٨،١٨٩.

٥- اخرج الترميذى عن اسـامة بـن زيـد، قـال: رأيـت النبـى(ﷺ) والحسـن والحسين على وركبه فقال:(هذان ابناى، وابنـا ابنتـى، اللهم إنـى أحبهمـا فأحبهما، وأحب من يحبهما).

٦- عـن علـى (رضي الله عنه) أن رسـول اللـه(ﷺ) أخـذ بيـد الحسـن والحسـين - رضى الله عنهما-فقال:(من أحبنى، وأحب هذين وأباهمـا، وامهـا، كـان معى فى درجتى يوم القيامة)[1].

(١) مسند ابن حنبل ٢٧٨/٥.

٨- الفتنة

أفاض سيدي رسول الله (ﷺ) في الحديث عن الفتنة، أو الفتن والخلاف، حتى رسم صورة واضحة جلية لفترة مهمة من مستقبل الأمة، كما خط لصحابته -رضي الله عنهم- وللمسلمين عامة السبيل الصحيحة والطريق القويمة، التي يجب أن نسلكها، إذا كثرت الفتنة عن أنيابها، لكي نفوز برضا الله ورسوله، عليه الصلاة والسلام

والفتنة التي نتحدث عنها هنا كما أوردتها الأحاديث الشريفة، واستمرت في التصاعد حتى مقتل عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، ثم تحول الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض، وماتبعه من تقاتل المسلمين، وسقوط عشرات الالاف من خيار الصحابة والتابعين.

والله لكأني بالنبي (ﷺ) يرسم خارطة شديدة الدقة لتلك الحوادث التي وقعت لصحابته (رضي الله عنهم) من بعده. إننا لا نذكر هنا إلا نماذج فقط من تلك الأحاديث النبوية الشريفة. فإن النبي (ﷺ) قد حمل هموم أمته حيا وميتا. وبداية الفتنة، وهو مقتل عمر. فنرى في صحيح البخاري ما يلي[1]

وروي عن حذيفة بن اليمان أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: (أيكم يحفظ قول رسول الله (ﷺ) في الفتنة؟). قال حذيفة: (أنا احفظ ما قال) قال

---

(١) ٣٤٤،٣٤٣/١

عمر:(هات، إنك لجرىء) قال حذيفة: قال رسول الله (ﷺ): (فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) قال عمر(ليست هذه، ولكن التى تموج كموج البحر) قال حذيفة: (يا أمير المؤمنين -لاباس عليك منها- إن بينك وبينها بابا مغلقا) قال عمر:(يفتح أو يكسر؟) قال حذيفة: (لا، بل يكسر) قال عمر: (إذن لايغلق أبدا) وقد سئل حذيفة: (أكان عمر يعلم الباب؟) قال: (نعم، كما أن دون الغد الليلة، إنى حدثته بحديث ليس بالأغاليط) ثم سئل عن الباب فقال:

(الباب عمر)

والآن نثبت بعض الأحاديث الشريفة التى تحدد أبعاد تلك الفتنة وماذا يصنع الصحابة فى مواجهتها:

١- جرى هذا الحوار بين[(١)] سيدى رسول الله (ﷺ) وبين حذيفة بن اليمان:

حذيفة: يارسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

الرسول : نعم

حذيفة : وهل بعد ذلك الشر من خير؟

الرسول : نعم، وفيه دخل.

حذيفة : فهل بعد ذلك الخير من شر؟

---

(١) صحيح البخارى٦/٥٣.

الرسول : نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

حذيفـــة : يارسول الله، صفهم لنا.

الرسول : هم من جلدتنا، ويتكملون بالسنتنا.

حذيفـــة : فماذا تأمرنى إن أدركنى ذلك؟

الرسول : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

حذيفـــة : فإن لم يكن لهم جماعة ولا امام؟

الرسول : فاعتزل تلك الفرق كلها،ولو ان تقضى بأصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك.

٢- قال رسول الله(ﷺ):

(سيكون بعدى أئمة لايهتدون بهديي، ولايستنون بسنتى، وسيقوم رجال قلوبهم قلوب رجال، شياطين فى جثمان إنسان) قال حذيفة: (كيف أصنع إن أدركنى ذلك؟) قال: (اسمع للأمير الأعظم، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)[١].

٣- قال النبى الاكرم(ﷺ):

(سيكون بعدى أشياء، فأحبها إلى أن تلزموا ما أحدث عمر[٢]).

٤- روى أن عثمان بن عفان قال[٣]: إن رسول الله(ﷺ) قال: (سيقتل أمير

---

(١) جمع الجوامع ص ٢٥٧٩.

(٢) السابق، ص ٢٥٩٥.

(٣) السابق، ص ٢٥٥٥.

وينتزى منتز[1]) وإنى أنا المقتول، وليس عمر(رضي الله عنه) وإنما قتل عمر رجل واحد، وإنه يجتمع على.

٥- قال الرسول (ﷺ): (ستكون فتنة واختلاف) قال الصحابة: (فما تأمرنا؟) قال: (عليكم بالأمير وأصحابه) وأشار الى عثمان[2].

٦- قال (ﷺ):

(ستكون بعدى هنات، وهنات، فمن أراد أن يفرق امر المسلمين وهم جميع، فاضربوه بالسيف، كائنا من كان.....[3] ستكون بعدى هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن بفرق بين أمة محمد وأمرهم جميع، فاقتلوه كائنا من كان، فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض[4].

---

(١) دخل سعد بن ابى وقاص على معاوية يوما بعد بيعته قائلا: السلام عليك ايها الملك، فقال معاوية الا قلت: السلام عليك يا امير المؤمنين فاجابه سعد: (ذاك ان كنا امرناك انما انت منتز، والمنتزى هو من يثن على الشيء وياخذه عنوة.

(٢) جمع الجوامع ص ٢٤٠٧.

(٣) السابق ص ٢٤٠١

(٤) السابق ٢٤٠٣

٧- عن ابى هريرة عن النبى (ﷺ) انه قال(من خرج من الطاعـة، وفـارق الجماعة، ثم مات مات ميتة جاهلية، ومـن خـرج مـن أمتـى علـى أمتـى، يضرب برها وفاجرها، لايتحاش من مؤمنها، ولا يفى بذى عهدها، فليس منى)[١]

٨- سأل أحد الصحابه رسول الله (ﷺ) فقال:(يانبى اللـه، أرايت إن قـامت علينا أمراء يسالونا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟) فأعرض عنه، ثـم سأله فى الثانية، وفى الثالثة، قال رسول اللـه (ﷺ): (اسـمعوا وأطيعـوا فإنما عليهم ماحملوا، وعليكم ما حملتم)[٢].

٩- قال رسول الله (ﷺ): (سيكون عليكم أمراء، يـأمرونكم بمـا لايفعلـون، فمن صدقهم يكذبهم، واعانهم على ظلمهم، فليس منى، ولست منـه، ولـن يرد على الحوض).

(١) صحيح مسلم٢/١٣٧.
(٢) السابق ٢/١٣٦.
(٣) جمع الجوامع ص ٢٥٨٨.

١٠-قال (ﷺ): (سيكون بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون، ويفعلون مايؤمرون، وسيكون من بعدهم خلفاء، يعملون بمالا يعلمون ويفعلون مالا يؤمرون، فمن أنكر عليهم برئ، ومن أمسك يده سلم، ولكن من رضى وتابع)(١)

١١-قال(ﷺ):(سيكون من بعدى فتنة فإذا كان ذلك، فالزموا على بن أبى طالب......(٢)).

ونكتفى بهذا القدر من الأحاديث، ويمكن للقارئ أن يرجع إلى كتب السنة المطهرة إن أراد المزيد، وقد رأينا أن نصائح النبى الأكرم لصحابته- رضوان الله عليهم) هى لزوم الجماعة وعدم شق الصف.

ويبقى أن نشير إلى بعض مظاهر تلك الفتنة، كما جاءت فى الأحاديث الشريفة التى وردت فى شأن حصار عثمان والخوارج ومقتل عمار وسب الصحابة كما يلى:

أ- حصار عثمان:

١- روى أن النبى (ﷺ) صعد أحدا وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم،

---

(١) جمع الجوامع ص ٢٥٧٩.

(٢) السابق ص ٢٥٩٧.

فقال: (اثبت أحد، فإنما عليك نبى، وصديق، وشهيدان)[1].

٢- روى عن أبى موسى الأشعرى أن عثمان بن عفان استاذنه على رسول الله (ﷺ) فقال: (ائذن له وبشره بالجنة، على بلوى[2] تصيبه)، يقول أبو موسى الأشعرى راوى الحديث(فجئته فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله (ﷺ) بالجنة على بلوى تصيبك)[3].

٣- عن عائشة قالت: قال رسول الله (ﷺ): (ادعوا الى بعض أصحابى) قلت:(ابوبكر) قال:(لا) قلت: (عمر) قال: (لا) قلت: (ابن عمك على) قال: (لا) قلت: (عثمان) قال: (نعم) فلماجاء عثمان قال: (تنحَّى) وجعل يساره، ولون عثمان بتغير، فلما كان يوم الدار وحصر فيها قالوا: (ياأمير المؤمنين ألا نقاتل؟) قال: لا إن رسول الله (ﷺ) عهد إلى عهدا وإنى صابر نفسى عليه) وفى رواية أخرى:(إن النبى (ﷺ)عهد إلى عهدا، فأنا صابر عليه) يقول راوى الحديث:(فكانوا يرونه ذلك اليوم) [4] اى يوم حصر فى الدار.

---

(١) صحيح البخارى ٩١/٦.

(٢) يريد ما اصاب عثمان (رضي الله عنه) من المحاصرة ثم الشهادة يوم الدار.

(٣) صحيح البخارى٩١،٩٠/٦.

(٤) مسند أحمد ٢٢٥/٤.

وكأنى بسيدى رسول الله (ﷺ) قد عاهد ذا النوربن (رضي الله عنه) على الا يكون البادئ بإراقة الدماء فى المدينة، ووفى الرجل بماعاهد عليه حبيبه (ﷺ) فمات مظلوما، ونال شرف الشهادة، كما بشره سيد الخلق، فمات بمقدوره أن يدفع محاصريه عن داره أو يأمر بقتالهم وقتلهم لو أراد، ولكنه صبروا احتسب، فنال رضا ربه، ورضا الحبيب والمسلمين، وإن أسف الناس وفجعوا بحصاره ومقتله، رضى الله تعالى عنه.

ب- الخوارج :

فى معركة صفين سنه ٣٧هـ بين الإمام على ومعاوية أشار عمرو بن العاص على جند معاوية برفع المصاحف طالبين تحكيم كتاب الله بين المسلمين المتحاربين، وانطلت الخدعة على أنصار على، فمالوا إلى التحكيم، برغم معارضة أمير المؤمنين الشديدة لهذه الفكرة، وإصرار على مواصلة القتال، فقد كان يرى أن معاوية ما لجأ لهذه الحيلة إلا لتاكده من الهزيمة المحققة، وكان يردد قولته الشهيرة(كلمة حق أريد بها باطل).

واضطر الإمام على للنزول على رأى أنصاره بقبول التحكيم، بل اضطر أيضا إلى ان يقدم أبا موسى الأشعرى، فى حين دفع معاوية بعمرو بن العاص-وكان يرى أن عبد الله بن عباس أقدر على ابن العاص من أبى موسى، ومن العجيب أن عبد الله بن عباس حذر أبا موسى من دهاء عمرو، بل كشف كثيرا من خباياه وخططه، ومنها أوقل من اهمها أنه سيتفق معه على خلع على ومعاوية، ثم يدفعه إلى خلع صاحبه، فى حين يثبت هو

صاحبه، وكان رأى ابن عباس أن عمرو سيحض أبا موسى ويقنعه بإعلان رأيه أولا.

واتفق الحكمان على خلع على ومعاوية، وترك الأمر شورى بين المسلمين، يختارون من يشاءون، وجاء يوم اعلان نتيجة التحكم، واقتنع ابن العاص مفاوضه بأن يعلن ما اتفقا عليه، فأعلن ابوموسى أنه قد خلع صاحبه، أى أمير المؤمنين على، وجاء دور عمر، فإذا به يعلن تثبيت معاوية.

وهنا ازداد الاضطراب والخلل فى صفوف أنصار[١] الإمام على، فقد خرج قوم لقبوله التحكيم، أما الذين أجبروه على قبول التحكيم، فإن قسما منهم خرج عليه، لأن النتيجة لم ترضهم وهكذا واجه أمير المؤمنين مشكلة أخرى غير معاوية وجنده وعمرو ومكره، إنها مشكلة الخوارج.

وفى معركة النهروان استطاع أمير المؤمنين القضاء نهائيا على الخوارج، ولكنه قبل أن ينصرف من ميدان المعركة أمر بتفقد القتلى، فقد وصف حبيبه(ﷺ) هؤلاء القوم، كما وصف آيتهم، فماذا قال؟

جاء فى صحيح البخارى: بينما رسول الله (ﷺ) يقسم قسما إذا جاء رجل من بنى تميم، فقال: يارسول الله، اعدل فرد(ﷺ) قائلا: ويلك،

---

(١) لست أدرى لماذا لم يستفد القوم من درس أحد، فقد كان عدم التزام الرماة بأوامر القيادة الصريحة، وتركهم لموقعهم الأثر الحاسم فى هزيمة المسلمين فى موقعة أحد، إن المعارك لاتحتمل أيه خلخلة فى الصفوف، أو خروج على القيادة، وبخاصة فى اللحظات الحاسمة.

ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت، إن لم أكن أعدل) ويسرع عمر إلى القول: يارسول الله، ائذن لى فيه، فاضرب عنقه، فيقول رسول الله (ﷺ) : (دعه، فإن له أصحابا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن، لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله، فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه[1] ،فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر الى نضبه-وهو قدحه[2] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قُذذه[3] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث[4] والدم، آيتهم رجل أسود ،إحدى عضديه[5] مثل ثدى المراة، أو مثل البضعة[6] تدردر ،ويخرجون على حين فرقة[7] من الناس[8]).

---

(١) مفرد صفه، وهى مايشد على نصل السهم.

(٢) السهم قبل أن ينصل أو يراش.

(٣) جمع قذة وهو الريش الذى على السهم.

(٤) مافى البطن من الأمعاء وغيرها.

(٥) العضدان الساعد، وهو من المرفق إلى الكتف.

(٦) القطعة من اللحم.

(٧) وفى رواية أخرى:(على خير فرقة من الناس).

(٨) صحيح البخارى٦/٥٤، وعن الخوارج أيضا قال المصطفى:(طوبى لمن قتلهم وقتلوه) جمع الجوامع ص ٢٩٦٤.

يقول أبو سعيد الخدرى: فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله (ﷺ) وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم، وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به، حتى نظرت إليه، على نعت النبى (ﷺ) الذى نعته.

وعن سويدين غفلة، قال على بن ابى طالب (رضى الله عنه):

إذا حدثتكم عن رسول الله (ﷺ) فلأن أخر من السماء، أحب إلى من أن أكذب عليه، واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم، فإن الحرب خدعة. سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان[1]، سفهاء الأحلام،[2] يقولون من خير قول البرية[3]، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لايجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيمة[4]).

ومعنى يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، انهم يخطئون فى فهم هذا الدين، كما يخطىء السهم هدفه برغم اندفاعه القوى واقترابه الشديد من بقيه فهؤلاء القوم الصغار سن الضعفاء عقلا يندفعون اندفاعا متهورا نحو الدين، لكنهم يمرقون منه، يمرون بين يديه دون ان ينفذوا اليه، كما ينفذ السهم فى هدفه المرسوم، والله تعالى اعلم بمراد رسوله(ﷺ).

---

(١) صغار السن.

(٢) ضعاف العقول.

(٣) اى فى الظاهر فقط، كقولهم:(لاحكم الا لله) ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله.

(٤) صحيح البخارى٦/٥٥، وانظر جمع الجوامع ص ٢٥١٨

جـ- مقتل عمار:

كان عمار بن ياسر وأمة وأهل بيته من السابقين إلى الإسلام الذين عذبوا فى الله،وكان رسول الله (ﷺ) إذا مر بهم، وهم يغذبون يقول:(صبرا آل ياسر،[1] فان موعدكم الجنة).

وأمد الله فى عمر عمار حتى مات حبيبه (ﷺ) والخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان(رضي الله عنهم)وحين خرج معاوية على أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقف عمار بن ياسر إلى جانب الإمام على، أليس الحبيب (ﷺ) هو القائل:[2]

(عمار يزول مع الحق حيث يزول).

وفى معركة صفين تصدى عمار لخدعة رفع المصاحف فقال: (ياأمير المؤمنين-أما والله- لقد أخرجها إليك معاوية بيضاء من أقربها هلك، ومن أنكرها هلك، مالك يا أبا الحسن، أشككتنا فى ديننا، ورددتنا على أعقابنا بعد مائة ألف قتلوا مناومنهم، أفلاكان هذا قبل السيف، وقبل طلحة والزبير وعائشة، وقد دعوك إلى ذلك، فأبيت وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن من خالفنا

---

(١) طعن أبو جهل سمية أم عمار بحربة فى فرجها حتى قتلها، ومات ياسر وابنه عبد الله بمكة قبل الهجرة، انظر زاد المعاد لابن القيم ٤٣/٢ واسد الغابة٤١٥/٣.

(٢) جمع الجوامع للسيوطى ص ٣٣٥٥.

منهم ضال، حلال الدم، وقد حكم الله تعالى فى هذا القتال مـا قد[1] سـمعت، فإن كان القوم كفارا مشركين، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، وإن كانوا أهل فتنه فليس لنا أن نرفع السف عنهم، حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله، والله ما أسلموا، ولا أدوا الجزيـة، ولا فـاءوا إلـى أمـر الله ولاطفئت الفتنة)[2].

ولكن الإمام على ماوجد طريقا يقنع الأكثريه من معسكره بمواصلـة الحرب، فلم يجد بدا من قبول ماطلب معاويـة من الموادعـة والتحكيـم، يقـول أمير المؤمنين لجنده (قد كنت بالأمس أمـيرا فـأصبحت اليوم مـأمورا، وكنـت ناهيا، فأصبحت اليوم منهيا، فليس لى أن احملكم على[3] ماتكرهون).

وعندما يئس عمار من إقناع الناس بمواصلة القتال نادى: (أيها الناس، هل من رائح إلى الجنة؟) فخرج إليه خمسمائه رجل، منهم أبو الهيثم وخزيمـة ابن ثابت الانصارى، ذو الشهادتين، فاستسقى عمار الماء، فأتاه غلام له بأداوة فيها لبن، فلما رآه كبر، وقـال: سـمعت رسـول اللـه (ﷺ)يقـول: (آخـر زادك لبـن) ثـم قـال عمـار: (اليـوم ألقـى الأحبـة محمـدا وحزبـه)[4]. واندفـع عمــار وأصحابه نحو جيش الشام فالتقى عليه رجلان فقتلاه، وهو شيخ قد نيف علـى التسعين عاما والنبى الاكوم (ﷺ) يقول:

---

(١) يشير الى من رأى القتال من أنصار أمير المؤمنين.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيةص ١٢٩.

(٣) الإمامة والسياسة ص ١٢٣.

(٤) السابق ص ١٣٠.

(تقتل عمارا الفئة الباغية)

يقول ابن حجر عن هذا الحديث: رواه جماعة من الصحابة[١] منهم عمار نفسه، وغالب طرقه كلها صحيحة أو حسنة[٢].

ويأتى الشقيان عمرو بن العاص، يختصان فى دم عمار وسلبه الذى يقول: خليا عنى فانى سمعت رسول الله (ﷺ) يقول

(قاتل عمار وسالبه فى النار)[٣].

ويروى ابن قتية: أن قاتلا عمار اقبلا برأسه الى معاوية يتنازعان فيه، كل يقول: (أنا قتلته) فقال لهما عمرو بن العاصى: (والله إن تتنازعان إلا فى النار، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (تقتل عمارا الفئة الباغية). وهنا اسرع معاوية إلىالقول: (قبحك الله من شيخ، فما تزال تنزلق فى قولك، أو نحن قتلناه) إنما قتله الذين جاءوابه، ثم التفت إلى اهل الشام مبررا قتل عمار ابن ياسر، المبشر بالجنة:

(إنما نحن الفئة الباغية، التى تبغى دم عثمان!!).

د- سب الصحابة :

كان من مظاهر تلك الفتنة ما انزلق إليه البعض من سب صحابة

---

(١) سمى منهم خمسة عشر صحابيا.

(٢) جمع الجوامع ص ٣٦٧٤.

(٣) السابق.

النبى الأكرم (ﷺ) برغم تحذيره من هذا الشر المستطير، ففى مسند ابن[1] حنبل: (استوصوا بأصحابى خيرا، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) وفى صحيح[2] مسلم: (لاتسبوا أصحابى، فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيَفه).

وسبب هذا الحديث انه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، وعلى هذا يكون الحديث نهيا لمتأخرى الصحابة عن سب من تقدمهم من الصحابة، وسبقهم إلى الإسلام، وهو يستلزم-من باب أولى -نهى غير الصحابة عن سب الصحابة[3]. (لأن سبهم حرام من محرمات الفواحش[4]).

وكانى بسيدى رسول الله (ﷺ) يستشرف لأمته صورة من صور المستقبل، حين انزلق بعض الناس إلى جريمة سب الصحابه(رضي الله عنهم) ومن تلك الصور الصارخة ما تعرض له أمير المؤمنين على بن أبى طالب ابن عم النبى (ﷺ) وزوج ابنته، والذى لاينكر أحد مآثره ومناقبه وفروسيته، لقد كان الأمويون يلعنونه على المنابر، وفى صلاة الجمعة، وكأن الصلاة لاتكون إلا

---

(١) الإمامة والسياسة ص ١٣٠.

(٢) ٩٧/٢.

(٣) ٤١٤/٢ ولفظ البخارى:(لاتسبوا أصحابى فلو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مُدَّ احدهم، ولانصيفه) صحيح البخارى ٨٩/٦.

(٤) صحيح البخارى ٨٩/٦ هامش ٣.

بسبب عليّ ولعنه، وظلت هذه العادة الفاجرة حتى أوقفها الإمام عمر بن عبد العزيز[١]، (رضي الله عنه) جاء في صحيح[٢] مسلم: استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعد، فأمره أن يشتم عليا، فقال سهل: (ماكان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإنه كان يفرح إذا دعي به) وحين كان مروان[٣] بن الحكم على المدينة لم يكن ينسى أن يسب أمير المؤمنين عليا كل جمعة، وعلى المنبر، وأمام الحسن بن على، وغيره من صحابة رسول الله (ﷺ) ولم يكتف بهذا بل بعث إلى الحسن، ريحانه (ﷺ) رجلا يقول له:(وما وجدت مثلك الامثل البغلة، يقال لها: من أبوك فتقول: أمي الفرس) ويرد ابن بنت الرسول (ﷺ) فيقول: (ارجع إليه فقل له: إني -والله- لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبُّك، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت صادقا جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذبا فالله أشد[٤]نقمة).

وحين مات الحسن (رضي الله عنه) بكى مروان في[٥] جنازته فقال له الحسن(رضي الله عنه): أتبكيه وقد كنت تجرعه ماتجرعه!!) ووجد مروان الجواب،

---

(١) الأعلام للزركلي ٧١٧/٦.

(٢) ٣٦٢/٢.

(٣) مر أبوه الحكم، فقال النبي الأكرم:(ويل لأمتي مما في صلب هذا) ومن ثم قال علي لمروان:(ويلك، وويل أمة محمد منك ومن بنيك) اسد الغابة ١٤٤/٥، ٣٧/٢.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩١.

(٥) المثل المصري يقول:(يقتل القتيل ويمشي في جنازته).

إن صدقا، وإن ياء، فقال:(إنى كنت افعل ذلك إلى أحلم مـن هـذا) وأشـار بيـده إلى الجبل[1].

ونختم الحديث عـن سب الصحابـة بهذا الحواريين معاويـة بـن ابـى سفيان وبين سعد بن ابى وقاص:

معاوية : مامنعك أن تسب ابا تراب؟!.

سـعد : ثلاث قالهم رسول الله (ﷺ) لأن تكون لى واحدة منهم أحب إلى من حمر النعم، سمعت رسـول اللـه (ﷺ) يقـول لـه حيـن خلفـه فـى بعض مغازيه:

(أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هـارون مـن موسـى، إلا أنـه لانبـوة بعدى) وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) فتطاولنا لها فقال: (ادعـوا لـى عليـا) ودفـع الرايـة إليـه، ولمـا نزلـت هـذه الآيـة: (فقـل تعـالوا نـدع أبناءنـا وأبناءكم[2]............) دعا رسول اللـه (ﷺ) عليـا وفاطمـة وحسـنا وحسينا، فقال: (اللهم هؤلاء أهلى)[3].

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص ١٩١.

(٢) ٦١ آل عمران.

(٣) صحيح مسلم ٣٦٠/٢.

٩- الصلح

ولى الحسن (رضي الله عنه) الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام فيها سته أشهر وأياما، ثم سار إليه، معاوية، والأمر إلى الله - فأرسل إليه الحسن يعرض تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى ألا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه على (رضي الله عنه) وعلى أن يقضى عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى ماطلب فاصطلحا على ذلك، فظهرت المعجزة النبوية فى قوله (ﷺ): (يصلح الله به بين فئتين من المسلمين)[١].

يقول الحسن البصرى(رضي الله عنه) سمعت أبا بكرة يقول: رايت رسول الله (ﷺ) على المنبر والحسن بن على إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: (ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[٢].

ولما احتضر الحسن قال لاخيه الحسين:

يا أخى إن أباك استشرف لهذا الأمر،[٣] فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، ثم استشرف لها وصرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لاتعدوه،

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ١٩١، ١٩٢م.

(٢) صحيح البخارى ٤/٤٠٣، ٤٠٤.

(٣) الخلافة.

فصرفت عنه إلى عثمان، فلما قتل عثمان بويع على، ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، فلا يستخفنك أهل الكوفة ليخرجوك، وقد كنت طلبت من عائشة (رضي الله عنها) أن أدفن مع رسول الله (ﷺ) فقالت: نعم، فاذا مت فاطلب ذلك منها، وما أظن القوم[1] إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم[2].

فلما مات الحسن[3] (رضي الله عنه) أتى الحسين إلى أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فقالت له :(نعم وكرامة) فمنعهم مروان بن الحكم[4] والى معاوية

---

(١) الأمويون.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٣، ١٩٤، أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير، ١٦/٢ دار الشعب بالقاهرة.

(٣) سنه ٤٩هـ.

(٤) ولد مروان بن الحكم بعد الهجرة، وهو ابن عم عثمان بن عفان، لم ير النبى (ﷺ) لأنه خرج مع أبيه إلى الطائف، حيث نفاه الرسول (ﷺ) وكان طويلا مضطربا، وضرب يوم الدار - حين قتل عثمان -على قفاه فقطع أحد علباويه- عرقا رقبته-فعاش أوقص والأقص الذى قصرت عنقه.

روى عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: (أما انت يامروان فأشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت فى صلبه)

أسلم أبوه الحكم بن ابى العاص الأموى يوم االفتح، نفاه الرسول (ﷺ) من المدينة إلى الطائف، قيل لأنه كان يتسمع سر رسول الله (ﷺ) ويطلع عليه من باب بيته، وقيل لانه كان يحكى مشية رسول الله (ﷺ) وبعض حركاته سخرية واستهزاء، وكان النبى (ﷺ) يتكفا فى مشيته.

على المدينة فدفن بالبقيع إلى جنب امه رضى الله عنها.

- فالتفت يوما، فرآه يتخلج فى مشيته، فقال: (كن كذلك) فلم يزل يرتعش فى مشيته من يومئذ، وقد ورد فى نفيه ولعنه أحاديث كثيرة لا مكان لذكرها هنا، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبى(ﷺ) مع حلمه وإغضائه على مايكره ما فعل ذلك الا لأمر عظيم.

ولم يزل الحكم منفيا حياة النبى (ﷺ) فلماولى أبوبكر الخلافة قيل له ليرد إلى المدينة فقال:(ماكنت لأحل عقدها رسول الله (ﷺ) فلما ولى عثمان (رضي الله عنه) الخلافه، رده وقال: (قد كنت شفعت فيه إلى رسول الله (ﷺ) فوعدنى برده) توفى الحكم فى خلافة عثمان، (رضي الله عنه).

لقد كان فى وجود هذا الرجل وابنه مروان أكبر الأثر فى إذكاء الثورة ضد عثمان (رضي الله عنه) ثم قتله فى النهاية، كما لعب مروان دور تمهد فى تأليب الناس ضد الإمام على وإذكاء نار الفتنة والفرقة بين المسلمين، قتل مروان على يد زوجته، أم خالد بن يزيد ابن معاوية، انظر أسد الغابة٢/٣٨،٣٧، ٥/١٤٥،١٤٤.

١٠- متفرقـــــات

وفـى الختـام نذكـر نصـائح وحكمـا متفرقـات مـن هـدى سـيدى رسول الله (ﷺ) مقتصرين على مايلى:

أ- يقول النبى الأكرم (ﷺ) محذرا أمتة من هذا النوع الخطر من المنافقين: (أخوف ما أخافه على أمتى كل منافق عليم[١] اللسان[٢]) فإذا كان النفـاق أكثر خطرا على الأمـة من الكفر الصريـح، فـإن المنـافق إذا كـان عليـم اللسان عاطا بما يحل ويحرم فى شرع الله-تعالى-فإنه يكون شديد الفتـك بأمة محمد (ﷺ) وكم ابتليت الأمة بكثير من المنافقين الذين درسوا هـذا الديـن، وكـان لهـم لسـان فـى الحديـث عنـه، ولكنهـم فـى قـراره أنفسـهم لايخلسون إلا للدنيا وشهواتها ومتعها.

ب- الناس معادن:

اعطانا سيدنا رسول الله (ﷺ) مقياسا دقيقا نقيس به الأفراد والمجتمعات على السواء، يقول سيد الخلق(ﷺ) :(تجدون الناس معادن، خيارهم فـى الجاهلية خيـارهم فـى الإسـلام إذا فقهـوا، وتجـدون خـير النـاس فـى هـذا الشـأن أشـدهم له كراهيـة، وتجـدون شـر النـاس ذا الوجهـين نعـم

---

(١) أى أن علمه لايتعدى القول باللسان فقط، فى حين إن القلب والعمل غير متـاثر مـن قريب أو بعيد بما يجرى على لسانه.

(٢) مسند ابن حنبل٢/١٠٥.

الناس الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه)[1].

معادن–وكذلك المجتمعات– منها النفيس ومنها الخسيس، ولايرفع الإسلام معدن الناس، من التبن الى التبر، أو العكس، بل يضع الفرد فى مكانه الصحيح المناسب، وتنطلق الطاقات البشرية من عقالها، وبخاصة بعد تحطيم العقبات والسدود، التى توضع أمام رقى الأفراد والمجتمعات، وهذا فارق اساس بين النظام الإسلامى وبين غيره من النظم الجاهلية، تلك التى تقف حجر عثرة فى سبيل ازدهار المجتمعات ورقيها.

لقد كان الصديق والفاروق وذو النورين وخالد بن الوليد وأبو عبيدة وغيرهم من فضلاء الصحابة من معادن نفيسة، ولكن هذه المعادن والطاقات كان يمكن أن تبقى مدفونة فى تراب العصر الجاهلى، لايسمع بهم أحد،ولايدرى عن وجودهم إنس ولاجان، ولكن جاء الاسلام، فأزال عن هذه المعادن الكريمة ماران بها من تراب الجاهلية، وعبادة الأصنام، فتحولوا ببركة الإسلام من رعاة للشاة والجمل الى قادة للأمم والبشر، ولهذا كان فضل الله باختيار عرب الجاهلية لحمل أمانة الدعوة الخاتمة، لأنهم وإن كان جاهلين إلا انهم كانوا من معادن خيرة وعناصر جيدة.

أما المقياس الذى أشار إليه الحديث فهو أن خيار الناس والمجتمعات من يعلن رأيه بصراحة ووضوح، ولو كان معارضا شديد المعارضه، مهما

---

(١) صحيح البخارى٤/٦.

كان العبء ثقيلا والتضحيات جساما، ولذا رأينا أهل مكة يعارضون بشكل واضح صراح دعوة النبى (ﷺ) وكثير من العرب بشكل عام، ولكنهم بعد أن اطمأنوا، واقتنعوا، كانوا من أشد الناس حماسا للإسلام، وتحملا لتبعات نشره خارج الجزيرة العربية.

وعلى المستوى الفردى نجد مثلا عمر بن الخطاب، كان من أشد الحاملين على المسلمين، ولكنه بعد اسلامه كان أشد على الشرك والمشركين والأمثلة على هذا كثيرة، ويمكن للقارئ أن يرجع إلى تراجم صحابة رسول الله (ﷺ) فى أسد الغابة مثلا، فلا شك أن كثيرا من المشركين الذين وقفوا بكل قوتهم ضد الإسلام، وقفوا بعدها بكل قوتهم مع الاسلام، وهلم جرا.

وشر الناس-وشر المجتمعات أيضا- المنافق ذو الوجهين فإن وجحت كفة الجاهلية كان معها، وإذا انتصر الإسلام كان أول المسلمين وهكذا او كما يقول المثل المثل المصرى: (معاك معاك عليك عليك) فإن كانت الريح والقوة معك كان معك، وإذا كانت عليك، كان عليك، بلا شك، ولاريب.

وعلى المسلمين أفرادا ومجتمعات أن يقيسوا الناس بمقياس سيد الخلق (ﷺ) الذى لاينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، فمن أعلن رأيه بصراحة ووضوح-ولو كان معارضا لنا كان من خيار الناس، ومن نافق وداهن، دون أن يبدى لونا ولضحا، او انتماء صريحا، فهو شر الناس كما أشار الحديث الشريف، وقانا الله الزلل والنفاق، انه على مايشاء قدير.

جـ- من علامات الساعة :

اشار النبى الأكرم (ﷺ) إلى كثير من علامات الساعة نذكر بعضها هنا:

سئل رسول الله (ﷺ) متى الساعة؟ قال:هي -سبحان الله- في خمس لايعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم مافي الأرحام، وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا، وماتدرى نفس بأى أرض تموت، إن الله عليم خبير)[1] ولكن، إن شئت، حدثتك بمعالم لها دون ذلك، إذا الأمة ولدت ربتها-أوربها- ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون فى البنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة رءوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأشراطها، قيل: يارسول الله، من أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة؟؟ قال: العرب[2].

قال رسول الله(ﷺ) :(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلا منا يملؤها عدلا، كما ملئت جورا) وفى رواية:(رجل منى)[3].

وقال رسول الله(ﷺ) :(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل منى، أو من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى، واسم أبيه[1] اسم أبى -المهدى من عترتى من ولد[4] فاطمة-يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى)[5].

---

(١) تفسيرابن كثير ٣/٤٥٤،٥٥٥.

(٢) علامات يوم القيامة لابن كثير ص٢٤.

(٣) السابق ص٢٦.

(٤) السابق ص ٢٧.

(٥) السابق ص٢٩.

ومـــاذا بعـــد ؟؟

لقد عشنا مع سيدى رسول الله (ﷺ) فـى بعـض أحاديثـه المشـرفة المطهرة، ولم يكن القصد -أيها القارىء الكريـم- أن تتحـاز إلـى رأى أو فكـر أوطائفة اومذهب، ومن حملنـى علـى غيرمـا أقصـد، فاللـه حسـبيه، يـوم تبلـى السرائر، وإنما قصدت إلى مايلى:

١- الاستفادة من القيمة التاريخية لأحاديث سيد الخلق (ﷺ) كمـاوردت فـى المصادر الأصلية التى ارتضتها الأمـة، مثـل صحيحـى البخـارى ومسـلم ومسند أحمد بن حنبل، وغيرها، إن مثل هذه المصادر بها مـادة تاريخيـة موثقة ينبغى الاستفادة منها، بدلاً مـن الاعتمـاد علـى المراجـع الوسـيطة، وغير الأصيلة.

ومن ناحية أخرى، فإن بعض الاحاديث يمكن أن تفسر لنا كثـيرا مـن الأحداث التاريخية، أو على الأقل تلقى الأضواء على بعض الجوانب الخافيـة، أو غير الواضحة لتلك الأحداث.

فالثورة ضد ذى النورين عثمان (رضي الله عنه) وحصاره فى داره ثم مقتله جعلت المرء يحتار ويضرب أخماسا فى أسداس، وقد حاول الكثير من العلماء والمؤرخين تفسير هذه المصائب التى وقعت للخليفة الثالث -رحمه الله- ولكـل مجتهد نصيب من الأجر، إن أخطا، وإن أصاب.

ولكنى أرى سببا لتلك المصائب، أورجلا كان له -فيما يبدو- القدح المعلى فى إشعال نار الفتنة،[1] منذ تولى عثمان (رضي الله عنه) إنه الحكم بن أبى العاص الأموى، الذى ورد فى نفيه ولعنه أحاديث كثيرة-كما اشرنا -لقد نفاه سيدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يرده الشيخان ، الصديق والفاروق، حتى لايحلا عقدة عقدها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجاء عثمان -غفر الله له- فرده ليحل عقدة النبى الاكرم (صلى الله عليه وسلم) وليخالف الشيخين، وقد كان نص البيعة الذى أعلنه عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) كما يلى: (نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة أبى بكر وعمر)[2]

٢- إن الحاجة ماسة إلى دراسة مستفيضه وشاملة لأحاديث سيدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التى تتحدث عن المستقبل، مقسمين إياها إلى قسمين، الأول عن الأحداث التى وقعت بالفعل، وبشكل مؤكد، والثانى عما لم يقع، وبشكل خاص ما يعنينا الآن فى زماننا، حتى يكون كل مسلم على بينة ونور من أحداث عصره ولتنوير البصائر، واقتباس الهداية من سيد الخلق،ليعرف المسلم دوره وموقعه.

---

(١) نأمل أن تقوم بدراسة هذه الفتنة، وما أدت إليه، وكيف قتل الخليفة (رضي الله عنه) بين أيدى الصحابه، وفى مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص١٥٤.

وماذكرنه هنا من أحاديث المستقبل إن هى إلاقل، ونزز من بحر، أى هى عينات فقط، ونماذج، وامثله، ليس إلا.

٢- إننى ألفت الانتباه إلى ضرورة العودة إلى المنابع الأصلية والمصادر الموثوقة لهذا الدين، ففى التفسير نرجع إلى أمهات الكتب فى هذا العلم، وفى الحديث نطالع كتب الصحاح، التى ارتضتها الأمة، وفى السيرة والفقة.... إلخ،دون الاقتصار على الكتب الوسيطة، والمراجع الهامشية التى لاتسمن، ولاتغنى من جوع، ولا تنقع الغلة.

وإذا فرغ القارئ من كتابى هذا، ثم قام إلى كتب السنه-مثل صحيح البخارى أو صحيح مسلم أو غيرهما-فبدأ بقراتها قراءة متأنية متفحصة، فإننى أعتبر كتابى قد حقق جزءا كبيرا من أهدافه، وكما يجعل المرء لنفسه وردا يوميا من القرآن الكريم، فإن يجب أن يفعل الشئ نفسه، بأن يقرأ كل يوم او كل أسبوع ماتيسر من أحاديث سيدى الخلق رسول الله (ﷺ) ففى هذا خير كثير، إن شاء الله.

كلمة أخيرة أقولها للقارئ الكريم، وهى أن مادة الكتاب على ضربين:

الاول: المنقول من كتب الحديث النبوى، أوالسيرة، او التفسير، أوغيرها، وقد تحريت الدقة ما استطعت، كما أثبت المرجع، الذى نقلت ونهلت منه.

الثانى: فهم خاص بكاتب هذه السطور لبعض ماذكره سيدى رسول الله (ﷺ) او لبعض الأحداث التاريخية.

وإننى إذ أشير إلى ماسبق، ,رحب بكل رأى وملاحظــة علـى مـاكتب، وبخاصة فى الضرب الثانى من مادة الكتاب، ضارعا إلى المولى-عز وجـل- أن يسدد خطانا، وأن يقينا العثرات والزلات، إنه سميع مجيب الدعاء.

أحمد مصطفى أبو الخير

ههيا شرقية

المحتويات

رقم الإيـداع : ٢٠٦١٧/ ٢٠٠٤.

الترقيم الدولي : ٨-٥٦-٥٨٦٢-٩٧٧ I.S.B.N .